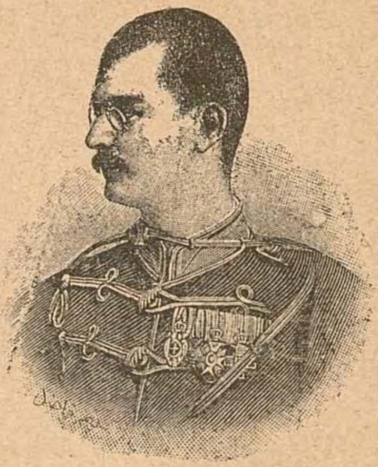

الملك اسكندر

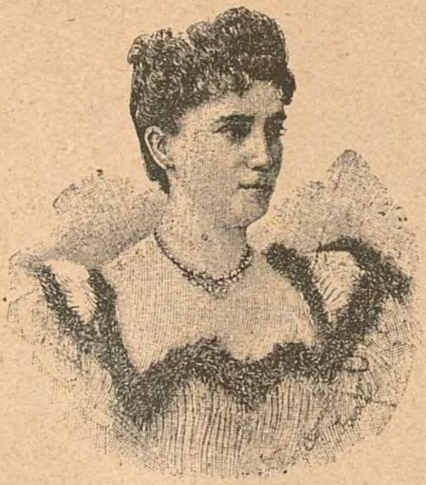

الملكة دراجا

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف ٧

الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١

المُلْك وحقوق الملوك

وحادثة السرب

لم نرَ للكلام على حادثة السرب تمهيدًا افضل من فصل كتبهُ حضرة المحامي الفاضل داود بك عمون ونشرناهُ في المقطم علي اثر هذه الحادثة قال فيهِ :

ما برح الخلاف قائمًا منذ القدم بين الملوك والشعوب على طبيعة الملك وحقوق الملوك . يدعي الاولون ان الملك حق الهي وانهُ وديعة في ايديهم من الخالق لا يحاسبون عنهُ الاَّ امامهُ وليس للبشر عليهم مراقبة ولا محاسبة اساءوا في استعمال سلطتهم ام احسنوا وان طاعتهم امر واجب محتم والانتقاض عليهم اثم فظيع محرم

والشعوب تعتقد ان المُلْك انابة من الجمهور لشخص معين بشروط معلومة يجوز للجمهور مناقشتهُ الحساب عن كيفية تأديتهِ لها وعزلهُ منها وعقابهُ اذا لم يحسن القيام بها او اساء استعمالها

ولم تنفرد ملوك الغرب بهذه الدعوى بل ادعاها ايضًا ملوك الشرق وكانت منتشرة عند العرب في الجاهلية وقد عرضت هذه العقدة لكليب المشهور فلم يتعرَّض لحل الخلاف حلاً قانونيًا بل ذكر المذهبين وقتل الملك وتركنا نتشوق الى معرفة رأيهِ فقال

ان يكن قتلنا الملوك حرامًا   او حلالاً فقد قتلنا لبيدَا

ثم جاء الاسلام بالخلافة الانتخابية والبيعة الجمهورية فقضى على مذهب القائلين بقولهم الى ان انتهى عهد الخلفاء الراشدين

اما اليوم وقد ترقت العقول وارتقت النفوس فلم يبقَ لهذا المذهب انصار الاَّ القوة والرهبة في بعض الممالك الشرقية او المتصلة بالشرق كالصين وايران وروسيا وحسبك دليلاً على ذلك

ان اعظم الدول مدنية وحضارة فرنسا وانكلترا قد حاكمت كلٌّ منهما احد ملوكها ونفذتا عليها حكم الاعدام ولم يغنهما حقهما المزعوم فتيلاً . وقد اضطرَّ الملوك بعد الثورة الفرنسوية مرضاةً لشعوبهم ان يتقيَّدوا بقوانين ونظامات تعرف بالدستور او القانون الاساسي تخول للشعب بواسطة نوابهِ حق التشريع وادارة الاحكام بمفردهِ او بالاشتراك مع الملك ويتعهد كل من الملك والشعب باحترام ذلك الدستور ويقسم الملك بشخصهِ والشعب بلسان نوابهِ يميناً مغلظة على ذلك . ومملكة السرب من الممالك ذوات الدستور الاَّ ان ملكها الشاب لم يزل على ما يظهر من رأي القائلين بالمذهب الاول وهذا من الغرابة بمكان فانهُ اذا جاز لسليل البوربون ان يعتبر شخصهُ فوق عامة البشر وحقهُ الهيًّا لتقادم عهد بيتهِ بالملك الرفيع والشرف الاثيل فما رأيك في هذا الاعتقاد عند سليل راعي الخنازير

فالملك اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبهِ في استعمال حقوقهِ الشخصية كاقترانهِ بامرأة عاقر من بيت وضيع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فيكتسب لبلادهِ حليفاً ينفعها عند الحاجة ووريثًا يقيها اخطار الاضطراب والحرب الاهلية عند انتخاب خلف لهُ فتغيرت بذلك قلوب رعيتهِ عليهِ ولم يقف عند هذا الحد بل انهُ غدر بعهدهِ لامتهِ وحنث بيمينهِ لها وتعدى على حقوقها بايقافهِ الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى اوطارهُ الاستبدادية ثم اعادهُ كأَن الدستور ملكهُ يعطيهِ اذا رضي ويستردهُ اذا غضب

فيتضح مما تقدم انهُ رحمهُ الله استوجب المؤاخذة واستحق المحاكمة

بقي اذاً ان نبحث في كيفية محاكمتهِ وايصال القصاص اليهِ وهنا نسلِّم بأَنهُ كان يجب محاكمتهُ محاكمة قانونية بكل مظاهرها وان الذين قتلوهُ لم تكن لهم صفة لمد يد الاذى اليهِ وان الانسانية كانت تقضي بعزلهِ او نفيهِ ولكن هذا الامر سهل نظريًّا اما في الواقع فهو مستحيل او في حكم المستحيل . اما محاكمتهُ بالطرق المعتادة فبالبداهة غير ممكنة فاي موظف يرفع الدعوى عليهِ واي قاضٍ يحاكمهُ والموظفون والقضاة في يدهِ يوليهم ويعزلهم متى شاء . واذا فرضنا وجود قضاة للحكم عليهِ فهل يرضى بان يساق الى المحاكمة صاغراً ولهُ الحرس والانصار والاعوان فما هي الاَّ الحرب الاهلية وما تنتجهُ من تعطيل اعمال وقتل رجال وتيتيم اطفال

واما نفيهُ او سجنهُ فلا يعودان بفائدة لان الملك يبقى ما عاش سبب خوف وفتنة واقلاق لراحة بلادهِ لا تهدأُ لها حال ولا يطمئن لها بال فضلاً عن تداخل الدول في امرهِ واعادتهِ بالقوة الى ملكهِ فلذلك رأى الثائرون ان اسهل الطرق للتخلص من استبدادهِ اعدامهُ فاعدموهُ مختارين بذلك اخف الشرين . والحق يقال انهُ لم يكن لهم سبيل آخر يسلكونهُ ليخرجوا من

ذلك المأْذق الاَّ رضوخهم للصغار واقامتهم على الذل . نعم اننا لا نبرئهم لقتل نفس من غير محاكمة قانونية مهما كانت الاحوال ولكننا نجد لهم ما يخفف جرمهم بمخالفة الملك نفسهِ للقوانين التي كان قد اقسم انهُ يحترمها فلسان حالهم ينشدهُ

فلا تجزعن من خطة انت سرتها   واول راض خطة من يسيرها

والذي نراهُ انهُ لا بدَّ من محاكمة الذين قتلوهُ وان اول عمل للملك الجديد سيكون اجراء تلك المحاكمة ولكن سيجدون من سوء تصرف القتيل وبغض الشعب لهُ ما يشفع في ذنبهم فيمحوهُ او يكاد

وفي هذا الحادث عبرة للحكام تذكرهم انهم اذا كانوا قد أُعطوا قوةً وجاهاً ومالاً واجلالاً يستمدونها من الهيئة المحكومة فما ذلك الاَّ مقابل حسن خدمتهم لها وجزاء سهرهم عليها لا ليتمكنوا من قهرها بقوتها واذلالها بعدتها وقتلها بسلاحها . ولله در شوقي حيث قال

ان ملكت الرقاب فابغ رضاها   فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأَ   سر فكيف الخلائق العقلاء   انتهى

هذا ولما كتب الكاتب ذلك لم يكن قد اطَّلع على التفاصيل التي وردت بعدئذٍ عن محاولة هؤُلاء القتلة اغتيال ملكهم وزوجتهِ بالسم وعن التمثيل بهما على صورة تقشعرُّ منها الابدان وتدلُّ على ان الطبيعة الوحشيَّة تغلَّبت عليهم فلم يعد غرضهم ابعاد الملك عن سرير الملك ولو بقتلهِ بل الانتقام منهُ ومن زوجتهِ باية صورة كانت والمحرّك الاول لهم ولغيرهم من المتواطئين معهم على هذه المكيدة ليس الاحتفاظ بدستور البلاد لكي تزيد سعادتها ويمنع عنها الحيف بل انتزاع مقاليد الاحكام من اسرة مالكة وتسليمها الى اسرة اخرى ولا مزية لاسرة على اسرة كأَنهم مأْجورون لهذا المنكر فارتكبوا فظيعة من اكبر الفظائع قتلوا ملكاً وزوجتهُ واخويها واناساً آخرين حتى لا يبقى امامهم احد يطالبهم بما فعلوا وحاولوا تقويض اعظم ركن من اركان العمران قضاء لاغراض ذاتية

اما بلادهم فكانت سائرة في سبيل الارتقاء سيرًا حثيثاً وللعائلة التي قرضوها اغتيالاً فضل كبير عليها وايضاحاً لذلك نورد الفذلكة التالية من تاريخها

السرب قطعة من شبه جزيرة البلقان يحدها من الشرق رومانيا والبلغار ومن الغرب بلاد البوصنه ومن الشمال بلاد المجر ومن الجنوب البانيا . وقد هاجر اهاليها اليها من بلاد المجر سنة ٦٣٨ للميلاد واعتنقوا الديانة المسيحيَّة وبقوا اربع مئة سنة تحت سلطة امرائهم . وحاولت الدولة البيزنطيَّة الاستيلاء عليهم فلم يتم لها ذلك . وقوي شأنهم في عهد اميرهم اسطفان دوشان (١٣٣٦ —

١٣٥٦) فانهُ استولى على بلغاريا ومكدونيا والبانيا واكثر بلاد البلقان وطمع في انشاء مملكة منيعة تقاوم مملكة الترك لكنهُ توفي قبلما استتب لهُ ذلك وخلفهُ ابنهُ وكان ضعيف الرأْي فانقسمت بلادهُ وتضعضعت احوالها فتغلَّب الاتراك عليها سنة ١٣٨٩ فصارت ايالة من ايالات الدولة العثمانية لكن اهاليها بقوا يمنُّون انفسهم بالاستقلال وحاولوا ذلك مرارًا ولاسيما في عهد اسكندر بك الالباني في اواسط القرن الخامس عشر

ومرَّت عليهم ثلاثة قرون بعد ذلك والانكشارية يذيقونهم الذل الوانًا حتى انقرضت عيال كثيرة منهم. وسبي منهم في وقت واحد مئتا الف نفس بيعوا عبيدًا وكان فتيانهم يؤْخذون منهم كل سبع سنوات ويربون في الاستانة لينظموا في سلك الانكشارية

وضمت بلاد السرب الى مملكة النمسا سنة ١٧١٨ ثم ردت الى الدولة العثمانية سنة ١٧٣٩ واخيرًا عيل صبر السربيين فنهضوا نهضةً واحدة سنة ١٨٠٤ بقيادة رجل باسل اسمهُ قره جورج وهو من مقتني الخنازير فطرد الانكشارية من البلاد واستولى على بلغراد وغيرها من الحصون . ولما أُمضيت معاهدة بخارست بين الدولة العلية والروس جاء فيها ان السرب تستقلُّ استقلالاً اداريًا وتقيم حامية عثمانية في كل حصونها . لكن الجنود العثمانية عادت فدوخت البلاد كلها فهرب قره جورج الى بلاد النمسا وثار السربيون ثانية سنة ١٨١٥ واختاروا لهم زعيمًا اسمهُ ميلوش اوبرنوفتش وهو من الرعاة ايضًا فتغلب على الجنود العثمانية حتى لم يبقَ منها في البلاد الاَّ حامية الحصون . وظل ميلوش هذا زعيمًا لاهالي السرب في طلب الاستقلال وقتل مناظرهُ قره جورج ونوديَ بهِ حاكمًا على البلاد واعترفت بهِ الدولة العلية اميرًا عليها في معاهدة بخارست وحصرت الامارة في نسلهِ لكنهُ كان مستبدًّا فاضطرهُ شعبهُ الى التنازل لابنهِ ميلان سنة ١٨٣٩ وتوفي ميلان هذا تلك السنة فخلفهُ اخوهُ ميخائيل وتقوى حزب الاسكندر ابن قره جورج فطرد ميخائيل واقامهُ اميرًا على السرب واعتمد ميخائيل على الباب العالي وحكومة النمسا بدلاً من الاعتماد على روسيا وكان عاجزًا عن ادارة الاحكام فكثر مبغضوهُ واضطروهُ الى التنازل سنة ١٨٥٩ واعادوا ميلوش الاول من منفاهُ ونصبوهُ اميرًا عليهم وتوفي بعد سنتين فخلفهُ ابنهُ ميخائيل واخذت البلاد تفلح في ايامهِ فخمدت البغضاء من بين احزابها وساد النظام والقانون وبث في الناس حياة جديدة فانتظمت الجندية وسارت البلاد في مراقي الفلاح وخرجت آخر حامية تركية منها ١٨٦٧. وقُتل الامير ميخائيل في السنة الثانية قتلهُ أُناس من حزب قره جورج فخلفهُ ميلان الرابع وفي ايامهِ نشبت الحرب بين الترك والروس ونالت السرب استقلالها التام واضيفت اليها ثلاثة اقضية ونودي بالامير ميلان ملكًا عليها في السادس من

شهر مارس سنة ١٨٨٢ ثم تنازل عن الملك لابنهِ اسكندر سنة ١٨٨٩ وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٩٠١ اما ابنهُ فكان عمرهُ ١٣ سنة لما تنازل لهُ ابوهُ فعين لهُ الاوصياء الى ان يبلغ سن الرشد لكنهُ قبض على ازمة الملك في ١٣ ابريل سنة ١٨٩٣ وعمرهُ ١٧ سنة واقترن بالسيدة دراجا ماشين في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٠ وهي اكبر منهُ بتسع سنوات وكانت من وصائف امهِ

وحكومة السرب دستورية وكان لها دستور اقرَّت عليهِ الجمعية العمومية في ٢ يناير سنة ١٨٨٩ فالغاهُ الملك اسكندر سنة ١٨٩٤ وعاد الى دستورها القديم الموضوع سنة ١٨٦٩ ثم وضع لها دستورًا جديدًا في ابريل سنة ١٩٠١ حصر فيهِ وراثة الملك بنسلهِ من الذكور والاناث . والقوة التنفيذية محصورة في الملك يساعدهُ مجلس النظار والقوة التشريعية في الملك بالاتحاد مع الجمعية العمومية ومجلس الشيوخ

ومساحة بلاد السرب ١٨٦٣٠ ميلاً مربعًا وكان عدد سكانها في آخر سنة ١٩٠١ مليونين و ٥٣٦ الفًا وهي زراعية كثيرة الحراج والمراعي وفيها كثير من القطعان والبساتين وكان عدد سكانها مليونًا و ٩٠٠ الف نفس سنة ١٨٨٤ فزادوا ٣٠ في المئة في اقل من عشرين سنة وعاصمة بلادهم بلغراد فيها نحو سبعين الف نفس والاهالي مسيحيون على مذهب الكنيسة الارثوذكسية وبينهم نحو عشرة آلاف من الكاثوليك ونحو عشرين الفًا من مذاهب اخرى. وعندهم مدرسة جامعة فيها قسم للفلسفة وقسم للحقوق وقسم للهندسة عدد تلامذتها ٤٦٣ واساتذتها ٦٢ وست عشرة مدرسة عالية فيها نحو ٦٠٠٠ تلميذ منها مدرسة للبنات فيها نحو ٩٠٠ تلميذة ومدارسهم الابتدائية كثيرة فيها اكثر من مئة الف تلميذ. والتعليم الابتدائي اجباري مجاني. وفيها عدا ذلك مدرسة حربية ومدرسة تجارية ومدرسة زراعية ومدرسة لزرع الكروم خاصة ومدرسة لعلم المساحة هذا عدا المدارس الخاصة وملاجئ الايتام وكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة اربعة في المئة فقط من السكان سنة ١٨٧٤ وهم الآن اربعة اضعاف ذلك وايراد الحكومة آخذ في الازدياد المستمر فقد كان ٦٣ مليون فرنك (دينار) سنة ١٨٩٨ فبلغ ٧٨ مليون فرنك سنة ١٩٠٠ وصادراتها ووارداتها جارية هذا المجرى ايضًا واكثر صادراتها من المواشي والحاصلات الزراعية والجلود والخمور . وكل مقابلة بين حاضرها وماضيها تدل على ارتقاء مستمر فيها

والسربيون اقوياء الابدان ميالون الى الحرب طبعًا يحبون بلادهم ويتغنون بمدحها ويميلون الى الرقص والطرب . شجعان مضيافون كبار الهمم لكنهم حادو الطبع سريعو الغضب يميلون الى الافراط وهذا يفسر اقدامهم على ما ارتكبوهُ اخيرًا من المنكر ثم ابداءهم دلائل البهجة والسرور

ما يلزم من الغذاء

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ تشتندن الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية فاقتطفنا منها ما يأْتي قال الكاتب :

ليس بين المسائل التي يشتغل الانسان بحلها ما هو اعظم شأْنًا لخير الفرد والمجتمع الانساني من مسأَلة تغذية الجسم . فان الانسان يأْكل ليعيش وليدَّخر قوة تمكنهُ من القيام باعمالهِ اليومية فاذا لم يكن الغذاء كافيًا اختلت آلة الجسم واذا كان زائدًا عن القدر اللازم اضرَّت تلك الزيادة بالجسم كما لو كان الغذاء ناقصًا عنهُ لانها تستلزم اسرافًا في النفقة وفي قوى الجسم يفضي الى انهاكهِ عاجلاً او آجلاً . ولا يخفى ان وظيفة الطعام امداد الجسم بالمواد التي يستخلص منها القوَّة اللازمة لهُ فكلُّ زيادة عن المطلوب انما هي حمل ثقيل عليهِ تفضي الى اختلالهِ واعتلالهِ

هذا واذا كانت حالة الجسم الفسيولوجية حسنة اصبح صالحًا للعمل ادبيًّا وعقليًا وماديًّا . والاَّ تعرَّض للامراض والعلل الادبية والاجتماعية والعقلية والبدنية . فلا بدَّ للعقل الصحيح والآداب القويمة والقوة البدنية من جسم سليم . والغالب ان يكون الخروج عن حدود الاعتدال في المعيشة داعيًا الى الانهماك في الشهوات او نذيرًا بهِ . فان الصحة والقوة والآداب تتوقف على اتمام شرائع الطبيعة وعليهِ فالواجب يقضي على كل أُمة ترغب في ترقية قواها البدنية والعقلية والادبية ان تبحث في ماهية تلك الشرائع حتى تتمكن من الجري على سننها والاَّ فان عاقبة العصيان الوقوع في مخالب الفقر وارتكاب الجرائم وانتياب الاسقام البدنية وكلل الشعور الادبي وغيرها من المحن التي تصحبنا ما دمنا احياء ويتوارثها الخلف عنَّا

والحاجة شديدة في هذا الزمان الى درس قوانين الغذاء والتغذية درسًا دقيقًا لانها اساس المعيشة الحسنة والى معرفة ما يلزم لاستخدام الطعام على اتمّ الطرق واكثرها اقتصادًا للجسم ومعرفة اقلّ ما يستطيع الجسم ان يعيش بهِ من الغذاء وتأْثير انواع الطعام المختلفة في نموّ الجسم واعادة قواهُ وتأْثير الحالة العقلية في الهضم والتغذية . وهذه المسائل كلها قابلة للحلّ وعلى حلها يتوقف شفاء كثير من الاسقام

اما آراؤُنا في كمية الطعام اللازمة للفرد المتمتّع بالصحة ونوعهِ لحفظ توازن الجسم في حالتي الراحة والعمل فمبنية على ما اعتاد المتمدنون عملهُ لا على ما يجب ان يعملوهُ قضاء لحاجات

الجسم . فقد سمّى السر وليم روبرتس الفم " ضمير الطعام (١) " وقال ان هناك افواهاً كثيرة لاتصلح لما جعلت لهُ وربما كان ذلك ناشئاً عن فساد طرق المعيشة . فان ما اعتادهُ الناس عموماً من التسليم بمطالب النفس والخضوع لاوامر الذوق بلا نظر الى حاجات الجسم الفسيولوجية يفضي بهم طبعاً الى مقياس فاسد للمعيشة مخالف للشرائع الطبيعية كل المخالفة

وقد جمع كثيرون من علماء الفسيولوجيا احصاءات عما يلزم الفرد من الطعام كلّ يوم منهم العالم فويت الالماني واتووتر الانكليزي . فالاول يذهب الى انهُ يلزم الرجل الذي يعمل عملاً معتدلاً ١١٨ غراماً من الطعام المحتوي على البروتيين او الالبومين (٢) و٥٦ غراماً من الدهن و٥٠٠ غرام من المواد الهيدروكربونية كالسكر والنشا وفيها كلها من الحرارة ما يساوي ٣٠٥٥ وحدةً . واذا كان العمل شاقًّا لزمهُ ١٤٥ غراماً من البروتيد و١٦٠ غراماً من الدهن و٤٥٠ غراماً من الكربوهدرات وفيها ٣٣٧٠ وحدة من وحدات الحرارة . وأما الثاني فمن رأيهِ ان الانسان الذي يعمل عملاً معتدلاً يحتاج يوميًّا الى ١٢٥ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٣٥٠٠ وحدة من الحرارة . وان الذي يعمل اعمالاً شاقة يحتاج الى ١٥٠ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٤٥٠٠ وحدة من الحرارة

والعلماء متفقون عموماً على ان هذين التعديلين صحيحان وان الفرد لا يحتاج الى اكثر مما هو مذكور فيهما على وجه التعديل . واذا ثبت ان هذا القدر اكثر من اللازم لحاجات الجسد فالنتيجة ان قسماً من الطعام يقدَّر ثمنهُ بالمال الكثير ذاهب سدًى على حين انهُ يمكن ان ينفق في وجهتهِ فيعود بالفائدة المطلوبة . فان العامل المُعيِل الذي يهمهُ الاقتصاد في نفقاتهِ اذا اقتصد تلك الزيادة انفقها على تعليم اولادهِ او مشترى اشياء لا غنى لاهل بيتهِ عنها في ترقية آدابهم وعقولهم مثل الكتب المفيدة واشباهها

على ان البعض يعترضون على هذا النوع من الاقتصاد ويعدونهُ ضرباً من البخل ومبالغة في الشحّ والتقتير . فقد اصبح همنا في هذه الايام ان تكون موائدنا حافلة بالوان الطعام وانواع الشراب وان نأكل ونشرب قدر ما تشتهي نفوسنا من كلّ ما لذّ وطاب وصار المتوسط

---

(١) اي القوة المميزة بين الطعام الجيد والرديء تشبيهاً لهُ بالضمير الادبي وهو القوة المميزة بين الخير والشرّ كما لا يخفى

(٢) البروتيين او البروتيد احد المواد الاصلية التي تتألف منها انسجة الجسم او اللحم . والالبومين مادة أخرى من تلك المواد الاصلية وهو ما نسميهِ بالزلال

الحال لا يكتفي الاَّ بمشترى الاطعمة الفاخرة الغالية الثمن ظنًّا منهُ انهُ ان فعل ذلك حسنت صحة اهل بيتهِ وزادت قوتهم وان اقتصادًا مثل هذا يعرّض صحة اولادهِ للخطر

ولايخفى ان طعام الانسان مقسوم ثلاثة اقسام الاول البروتيدات او الالبومينات ومنهما اللحم والبيض والجبن والجلوتن او الصمغ الذي في الحنطة. والثاني الكربوهيدرات كالسكر والنشا والثالث المواد الدهنيَّة وهي اما حيوانية واما نباتية . ومن خصائص المواد البروتيدية انها تحتوي على نحو ١٦ في المئة من النيتروجين. والمواد الدهنية والنشوية تحتوي على كربون وهيدروجين واكسجين فقط . اما المواد الدهنية والهيدروكربونية فتحترق دقائقها في الجسم وتتحول الى غاز الحامض الكربونيك وماء . واما المواد البروتيدية فانها تفرز غاز الحامض الكربونيك وماءً وكلَّ ما فيها من النتروجين على شكل مواد نتروجينية متبلورة في مفرزات الجسم . ووظيفة هذه المواد امداد انسجة الجسم بالدقائق اللازمة لبنائها مكان الدقائق المندثرة منها ولذلك لا يستطيع الجسم ان يعيش بدونها طويلاً . واما وظيفة المواد الدهنية والهيدروكربونية فمعظمها توليد القوة. والمواد الدهنية اصلح من المواد الهيدروكربونية لذلك فان الغرام منها يفيد مثل غرامين من المواد الهيدروكربونية بالتأكسد او الاتحاد بالاكسجين . واعلم ان مواد الطعام المختلفة لا تفيد الجسم مباشرة بل لا بدَّ من ان تهضم اولاً ثم تمتصّ وتتمثَّل وبعد ذلك يعتريها الانحلال فيخرج ما فيها من القوَّة التي تظهر في شكل حرارة او حركة. ففائدة الطعام يتوقف كثير منها على اكتمال هضمهِ واستعمال الجسم لهُ. والافراط في تناول المآكل البروتيدية يفضي الى زيادة الفضول النتروجينيَّة وهذه الفضول تؤثر في الجهاز العصبي وغيرهِ من اجهزة الجسم قبل افرازها منهُ وتؤدي الى نتائج وخيمة. وكذلك يقال عن الافراط في تناول المآكل غير النيتروجينيَّة فانهُ يكلف الجسم عناءً لا لزوم لهُ اذ لا بدَّ من هضمها وامتصاصها والاَّ اختمرت في المعدة والامعاء وفسدت فأدَّت الى اسقام عديدة واذا امتصَّ الجسم منها ما يزيد عن حاجتهِ ذخر تلك الزيادة في هيئة الدهن ولكنهُ يتحمَّل حملاً لا لزوم لهُ فيعيق سير آلتهُ

فيظهر من ذلك ان تناول مقدار من الطعام يزيد عن حاجة الجسم الفسيولوجية ليس من الحكمة في شيء وربما ادى الى اضرار جسيمة لانهُ يوقع الخلل في آلة الجسم بدلاً من ان يزيدها قدرةً حتى تتمكن من قضاء عملها اليومي وقد اثبتت تجارب بعض علماء الفسيولوجيا ان الانسان يستطيع ان يعيش وصحتهُ جيدة على نصف ما يقدرهُ العالم الالماني فويت وعلى اقلَّ مما يظنُّ من المواد البروتيدية . ولكن لما كانت تلك التجارب لا تتجاوز مدة قصيرة من الزمن فلا يصحُّ اتخاذها دليلاً صادقًا على ما يلزم في المدات الطويلة فقد قال العالم الالماني شافر " انهُ يُشك

في ما اذا كان الرجل المتوسط القامة والثقل يستطيع ان يعيش زمنًا طويلاً على اقلّ من ١٠٠ غرام من المواد البروتيدية في اليوم. لكن اثبت العارفون ان كثيرين من سكان اسيا يأكلون من المواد البروتيدية اقلّ من الاوربيين بكثير . فان اهل الهند واليابان والصين يعوّلون في طعامهم على الارز وهو لا يحوي سوى قليل من البروتيد وعليهِ اتخذ بعضهم ذلك دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش علي اقل مما يقدرونهُ لهُ غالبًا من البروتيد ولكن ليس لدينا احصاءات يستدلّ منها ان الاسيوي الذي يعمل قدر ما يعمل الاوربي يحتاج الى اقلّ مما يحتاج اليهِ الاوربي من البروتيد بالنسبة الى ثقل جسمهِ . والواقع ان ما لدينا من المعلومات يدل على ضدّ ذلك "

فالحقيقة ضائعة بين هذا العالم وذاك وهي ضالتنا المنشودة في هذه المقالة فنقول :

جرّب بعضهم عند كاتب هذه المقالة تقليل الطعام في نفسهِ مدة خمس سنوات فاعتدل بهِ واقتصد كثيرًا فكانت النتيجة ان قواهُ الجسدية والعقلية تحسنت جدًّا ووجد انهُ يصلح لعمل ايّ كان من الاعمال من غير ان يشعر بالتعب العادي الذي يشعر بهِ الانسان بعد اجهاد قوتهِ البدنية . فهو يأكل قدر ما تشتهي نفسهُ ولكن ذلك القدر صار اقلّ مما يتناول الفرد منّا عادةً

وبقي ثلاثة عشر يومًا في يناير الماضي تحت مراقبة كاتب هذه المقالة فكان يحلّل مفرزاتهِ كل يوم ليعلم مقدار البروتيد الذي ينفقهُ جسمهُ فظهر لهُ ان ذلك بلغ ٢٥,٤١ من الغرام كل يومٍ وبقي ثقل الجسم على حالهِ (١٦٥ ليبرة) وكان يتناول من البروتيد يوميًا نصف المقدار في مقياس فويت ولم تكن المواد الدهنية والنشوية والسكرية تحلّ محل البروتيد او تسدّ نقصهُ . وكان مطلق اليد في اختيار ما شاء لطعامهِ وقد اوصي باتباع عاداتهِ في تناول الطعام . فظهر من تحليل مفرزاتهِ ان فيها من النيتروجين ما يعادل انفاق ٢٥,٤١ من الغرام من البروتيد يوميًا على المتوسط فقد كانت تزيد حتى تبلغ ٠٥,٤٧ وتنقص حتى تصل الى ٠٦,٣٣ غرام

واستؤنفت مراقبتهُ في فبراير فكان طعامهُ ومفرزاتهُ تحلّل تحليلاً دقيقًا كلّ يومٍ ليعلم مقدار ما يتناول من البروتيد والمواد الدهنية والنشوية وكان طعامهُ بسيطًا مؤلفًا من حبوب مطبوخة ولبن وسكر يتناول قدرما يشاءُ منهُ مرتين في اليوم . وبقي كذلك سبعة ايام . وكان الطعام يوزن وتركيبهُ الكيماوي يعيّن قبل تناولهِ . فبلغ متوسط ما تناولهُ من البروتيد في اليوم ٤٥ غرامًا وتناول من الدهن والنشا ما يكفي للحصول على نحو ١٦٠٠ وحدة من الحرارة كل يوم . وهذا ليس شيئًا بالنسبة الى مقاييس الطعام المعوّل عليها. فان اقلّ ما يجب ان يتناولهُ

الانسان من البروتيد كل يوم بموجب مقياس فويت يبلغ ١١٨ غراماً وما يولده من الحرارة ٣٠٠٠ وحدة

وربَّ سائل يسأَل هل كان الطعام الذي تناولهُ الشخص المذكور آنفاً كافياً لحاجات جسمهِ او لجسم رجل زنتهُ ١٦٥ ليبرة . والجواب على ذلك انهُ كان يأكل ما تطلبهُ نفسهُ الى الشبع وكان حرًّا في اكل اكثر منهُ اذا أَراد. والجواب الفسيولوجي ان وزن جسمهِ بقي على حالهِ في الستة الايام المذكورة ومقدار الداخل اليهِ من النيتروجين والخارج منهُ بقيا متساويين تقريباً وعليهِ فالطعام المذكور آنفاً كان كافياً لحاجات جسم الرجل على بساطتهِ وقلة كميتهِ بالنسبة الى الكمية الواجبة في عرف علماء الفسيولوجيا

وهناك سؤَال آخر وهو هل يقدر الانسان ان يقوم باعمالهِ وهو يأْكل طعاماً كافياً فقط لحفظ وزن جسمهِ على حالهِ وحفظ توازنهِ الفسيولوجي . وللجواب على ذلك نقول ان الرجل المذكور أُخذ الى كلية يايل حيث روَّض بدنهُ على الالعاب الرياضية بادارة الدكتور اندرسون. وهذا ما كتبهُ الدكتور اندرسون في تقريرهِ عنهُ :—

" روَّضت المستر فلتشر على ما يلعبهُ المتقدمون في الجمنستيك من الالعاب الشاقة التي لا يستطيع المبتدئون لعبها بلا تعب والم وتأْثيرها شديد في القلب والرئتين وعضلات الاطراف والجذع . وهي لا تعلَّم للمبتدئين لعنفها . فكانت النتيجة انهُ لعبها بسهولة لا مزيد عليها وبلا الم وعادت عضلاتهُ في اليوم التالي الى ما كانت عليهِ قبل اللعب ولم يظهر عليها اثر التسمم بالحامض الكربونيك وكانت ضربات قلبهِ سريعة ولكنها منتظمة وعادت الى حركتها الاصليَّة باسرع ممَّا تعود اليهِ في قلوب الذين من ثقلهِ وسنهِ . وقد ادهشني انهُ يستطيع عمل ما يعملهُ لاعبو الجمنستيك المتمرنون على اللعب من غير ان يبدو عليهِ اثر التعب . وخلاصة الامر ان المستر فلتشر يعمل هذا العمل باكثر سهولة واقلّ تعب من جميع الذين تروضوا عندي وكانوا من سنهِ "

وممَّا لا بدَّ من ذكرهِ ان المستر فلتشر لم يروّض جسمهُ عدة شهور في ما سوى المشي العادي . ومع ان طعامهُ كان قليلاً ولم تزد كميتهُ على نصف الكمية اللازمة لحفظ قوام الجسم باتفاق العلماء فقد ظهر انهُ كان كافياً لامداد جسمهِ بالقوة اللازمة للرياضة لانهُ اتمَّ الالعاب المذكورة بلا تعب ولا الم ولم يحمّل قلبهُ ورئتيهِ ما هو فوق طاقتها ولم يفقد جسمهُ شيئاً من ثقلهِ

هذا من حيث الاقتصاد الفسيولوجي واما من حيث الاقتصاد المالي فان ثمن الطعام الذي

اكلهُ في السبعة الايام وظهر انهُ كافٍ لحاجات جسمهِ بلغ ٧٧ سنتاً (٣) او ١١ سنتاً في اليوم وهو اقلّ من القليل في جنب ما ينفق على الطعام العادي . وقد اعترف المستر فلتشر انهُ اتَّبع هذه الطريقة من المعيشة خمس سنوات وانهُ يتناول الطعام مرتين في اليوم وانهُ اصبح مولعاً بالسكّر والمواد النشوية على العموم ومتجنباً لأكل اللحوم. وان صحتهُ حسنة على الدوام ويرى نفسهُ صالحاً للعمل في كل آن . ومن عادتهِ مضغ الطعام كثيراً حتى يمتزج باللعاب جيداً سواءٌ كان سائلاً او جامداً فيسهل بذلك الهضم والانتفاع باجزاء الطعام المغذية انتفاعاً تامًّا

فيستنتج من التجارب المذكورة آنفاً وقلة تعويل بعض الامم الاسيوية على المآكل اللحمية في طعامها ومذاهب القائلين بوجوب الاقتصاد على اكل الفواكه والخضر انهُ يمكن البشر ان يزيدوا في الاقتصاد الفسيولوجي عما هم عليهِ الآن . فان كانت الامور المتقدمة حالات شاذة عن القاعدة العمومية وجب ان نعلم ذلك والاَّ فان كان يمكن الانسان عموماً ان يعيش جيداً على اقلّ مما يعدُّهُ العلماء ضروريًّا للمعيشة وجب ان نحقق ذلك ايضاً . لانهُ ان كانت المقادير المعينة من الغذاء الآن زائدة عن الحدِّ اللازم كنا والاقتصاد على طرفي نقيض فضلاً عن اننا نعرّض انفسنا لحالات مناقضة لقواعد الصحة وبالتالي منافية للراحة والرفاهة

ومما لايحسن الاغضاء عنهُ قبل اختتام هذه المقالة ان تجارب كثيرة في هذا الصدد جُرّبت في كلية كمبردج حديثاً وفي البندقية وعرضت على الجمعية الطبية الانكليزية ومؤتمر الفسيولوجيا الدولي الذي عقد في تورين بايطاليا اخيراً فجاءت نتائجها مؤيدة لنتائج التجارب التي جربت في المستر فلاشر (انظر مقالة في جزء نوفمبر سنة ١٩٠١ من المقتطف حيث وصفت تجارب البندقية)

وقد وعد الكاتب في الختام ان يستأنف التجارب من هذا القبيل بمعاونة بعض العلماء اظهاراً للحقيقة كلها وترفيعاً لشأن العلم

هذا ويتضح من هذه المقالة ومن المقالة التي نشرناها سنة ١٩٠١ عن التجارب التي أُجريت في البندقية ان جمهور الاغنياء والاواسط يأكلون اكثر من مضاعف ما تحتاج اليهِ ابدانهم وان علماء الفسيولوجيا يقدرون الطعام اللازم للانسان اكثر مما يلزم لهُ حقيقة . ولا بدَّ من ان تشيع هذه الحقائق ويكون منها نفع عميم في حفظ الصحة وتقليل النفقات

---

(١) السنت جزء من مئة من الريال الاميركي وهو يعدل مليمين

ميخائيل انجلو

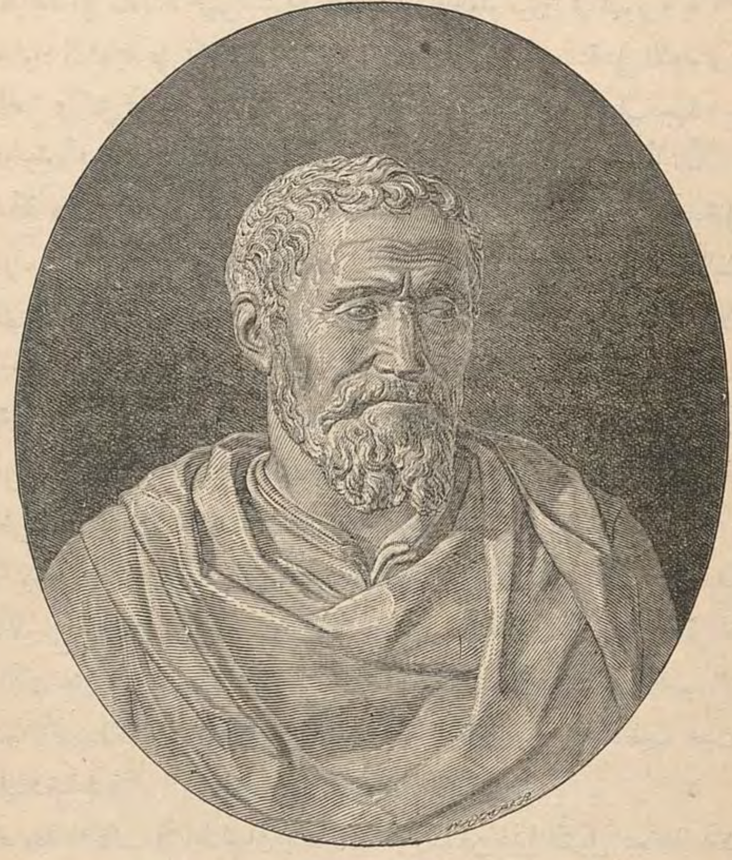

تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يُحفَظ من اسمائهم الاَّ عدد قليل يعدُّ على الاصابع الواحد منهم بمقام الف بل بمقام الوف . هؤلاء مشاهير الزمان الذين اشرنا اليهم في الجزء الثالث من اجزاء هذا السنة . وكنَّا نودُّ ان نذكر ترجماتهم واحدًا واحدًا من اولهم الى آخرهم لو وسعنا المقتطف

وقد كنَّا نطالع الآن وصفًا بديعًا للتاج اجمل بناء في بلاد الهند ادَّعاهُ الاوربيون واثبت الواصف ان بانيهُ من اهالي الهند انفسهم ولكن من هو وما هو اسمهُ وممن تعلَّم صناعتهُ ومن ترجمهُ من الكتَّاب — كل ذلك طوتهُ الايام ويحتمل ان صاحب التاج جازاهُ كما جوزي سنمار في قصص العرب رماهُ من اعلاهُ حتى لا يبني بناءً آخر مثلهُ

وقس عليهِ كثيرين غيرهُ من الذين انشأُوا حضارة العرب حقيقةً وكان لهم اليد الطولى في البناء والنقش والفلاحة والصناعة والتجارة فان اسماءهم نسيت او لم تذكر في كتب الوفيات الَّا عَرَضاً وانما ذكرت فيها اسماء الامراء والشعراء والفقهاء كأَن حضارة الامم تقوم بما يقرؤُونهُ من البلدان وينظمونهُ من الشعر ويؤَلفونهُ من كتب التفسير ولا شأْن لمن يستثمر خيرات الارض ويجرُّ اليها المغانم وينشئُ فيها المعالم

خطرت لنا هذه الخواطر ونحن نقرأُ تلك المقالة ثم التفتنا الى اسماء المشاهير عند الاوربيين فوجدنا انهُ من الف رجل فاقوا غيرهم في الشهرة على ما يستدل من الاعتناء بترجماتهم كان اسم ميخائيل انجلو النقَّاش الايطالي الثلاثين اي ان الذين فاقوهُ في اعتبار الاوربيين ٢٩ نفساً من اشهر المشاهير والذين فاقهم تسع مئة وسبعون نفساً . فهو في المئة الاولى من الالف وفي الثلث الاول من المئة الاولى لا يفوقهُ الَّا ٢٩ رجلاً من اشهر القواد والشعراء والفلاسفة مثل نبوليون ويوليوس قيصر والاسكندر المكدوني وشكسبير وهوميروس وملتون وباكون وارسطوطاليس واسحق نيوتن وقد قُدِّم على سقراط وكنت وليبنتز وكرومول ولويس فيليب وفردرك الكبير ولورد بيرُن ودانتي وڤرجيل . فرأَينا ان نثبت ترجمتهُ في هذا الجزء ونبحث عن باني التاج في الجزء التالي

ولد ميخائيل انجلو سنة ١٤٧٥ وابوهُ من اهالي فلورنسا ومن وجهائها وكانت لهُ ثروة طائلة فقدها كلها ولكنهُ بقي محتفظاً بشرف نسبهِ فلما ظهر من ولدهِ الميل الى الرسم والنقش نهاهُ عنهُ حاسباً انهُ لا يليق بمقام اسرتهِ وكان يقول انهُ قد خسر اموالهُ كلها ولم يعد في طاقتهِ ان يعيش مثل اقرانهِ لكنهُ يفتخر بانهُ لم يتدانَ الى الاكتساب بالتجارة او بالصناعة . وليس من الانصاف تشديد الملام عليهِ اذ كان اهل زمانهِ يقولون قولهُ ويعتقدون اعتقادهُ لكن رغبة الولد كانت شديدة فلم يستطع ابوهُ ان يصرفهُ عن عزمهِ . وكان يقول بعد ذلك انهُ رضع هذا الميل مع اللبن لان اباهُ كان قد سلمهُ الى امرأَة زوجها نحَّات لكي ترضعهُ وتربيهُ فكان يرى اعمال زوجها في طفوليتهِ فأُشرب حب النقش مع اللبن . وبعد خصام شديد بينهُ وبين ابيهِ دخل صانعاً عند مصوّر اسمهُ غرلنندايو وعمرهُ ثلاث عشرة سنة فقط لكي يقيم عندهُ ثلاث سنوات . وكانت البلاد حولهُ مملوءَة بفاخر المصنوعات من الصور والتماثيل والمباني والنقوش فكانت رغبتهُ تزيد اتقاداً كلما وقع نظرهُ عليها . ودرس مبادئ التصوير اولاً لكن ميلهُ الاشد كان الى النقش وعمل التماثيل فلقي معيناً لهُ في شخص لورنزو دي مديتشي (١) ودخل مدرستهُ قبل ان

---

(١) المديتشي اصحاب فلورنسا وطسكانا كلها نشأُوا في القرن الرابع عشر وكانوا تجاراً جمعوا ثروة وافرة

يتمم السنوات الثلاث عند غرنلندايو ويقال ان غرنلندايو هو الذي اشار عليهِ بدخول المدرسة وتوسل الى لورنزو لكي يقبلهُ لما رأى من نباهتهِ واجتهادهِ وكان رئيس المدرسة من تلامذة دوناتلو النحّات الايطالي الشهير فجعل يقابل المصنوعات الحديثة بالقديمة ويحضر مذاكرات مهرة النقاشين والنحاتين ورغبتهم في التوفيق بين مصنوعات الوثنيين وما تقتضيهِ الديانة المسيحيَّة فظهرت عليهِ مخايل النجابة في المباحث الفلسفيَّة كما ظهرت في الاعمال الصناعيَّة

ولم يتم ثلاث سنوات في تلك المدرسة حتى توفي صاحبها لورنزو وخلفهُ ابنهُ بيرو وورث منصب ابيهِ ولكنهُ لم يرث اخلاقهُ وهمتهُ ورأى ميخائيل انجلو ان الخطوب ستتفاقم في عهد الولد فترك المدرسة وهرب الى بولونا وكان قد بلغ العشرين من العمر وصنع فيها ثلاثة تماثيل لكنيستها ثم دعي الى فلورنسا لعمل بعض التماثيل فعاد اليها وكانت شهرتهُ قد ذاعت وصنع فيها تمثالاً لاله الحب آخذًا فيهِ مأخذ القدماء فاشار عليهِ بعضهم أن يطمرهُ في التراب حتى يصير كالتماثيل القديمة المنبوشة من الارض ليرى كيف يقبل الناس عليهِ ففعل ذلك عازمًا ان لا يزيد ثمنهُ لكي لا يكون فعلهُ من قبيل الخديعة بل من قبيل التسلية فاشتراهُ الكردينال سان جورجيو حاسبًا اياهُ من مصنوعات القدماء ودفع ثمنًا كبيرًا للتاجر الذي باعهُ اياهُ . واكتشف الكردينال ذلك حالاً فاستردَّ مالهُ من التاجر وأخبر ميخائيل انجلو انهُ اذا جاء رومية وجد فيها رواجًا كبيرًا لمصنوعاتهِ فاسرع اليها واقام فيها بضع سنوات ولكنهُ لم يجد اولاً الرواج الذي انتظرهُ . وكان الاضطراب السياسي سائدًا على رومية حينئذٍ فاقام فيها خمس سنوات مكرهًا وكان يعمل بجد واجتهاد لان اباهُ صار يعتمد عليهِ في معيشتهِ ولو بقي حاسبًا تعاطيهُ صناعة التصوير وعمل التماثيل ممَّا يحط من قدرهِ . ولم يوافقهُ ميخائيل على هذا الرأي ولكنهُ كان حريصًا على اسم عائلتهِ متفانيًا في خدمتها حتى انهُ كان يتحمل ما لا يتحملهُ طبعهُ من المشاق وشظف العيش لكي يكتسب ما يقوم بنفقات بيت ابيهِ . والتى ابوهُ اعتمادهُ عليهِ فكان يتناول كل درهم يكتسبهُ وينفقهُ في بيتهِ كأَن ابنهُ عبد مخلوق لخدمتهِ

وشرع بعد قليل في عمل تمثال داود المعروف بالجبَّار صنعهُ من قطعة كبيرة من الرخام كان غيرهُ قد شرع في نحت تمثال آخر فيها منذ اربعين سنة فغيَّر شكل التمثال وصنع منها تمثال شاب عابس واحكم صنعهُ فجاء منطبقًا على القواعد العلميَّة والفنيَّة حتى دُهش منهُ كل مَن رآهُ . وجُمع كل ارباب الفن في فلورنسا ليختاروا لهُ مكانًا مناسبًا لهُ فوضعوهُ امام قصر

وجادوا بها في المصالح العامة فصاروا حكام البلاد . ولورنزو من اشهرهم وكان عادلاً حليمًا منشطًا للعلوم والفنون وهو من الشعراء المعدودين انشأ المدارس الكثيرة واغدق خيراتهِ على العلماء والصناع والفلاسفة

الحكومة سنة ١٥٠٤ وبقي هناك الى سنة ١٨٧٣ فنقل الى دار مدرسة الفنون . ولم يقتصر على عمل التماثيل بل اشتغل بالتصوير ايضاً وصوَّر بعض الصور الشهيرة . ولكن لم يطُل عليهِ الوقت حتى دُعي الى رومية دعاهُ البابا يوليوس الثاني ومن ثم ابتدأ عصر جديد في اعمالهِ الفنيَّة

لما وصل رومية طلب منهُ البابا ان يصنع لهُ ضريحاً يكون منقطع النظير فصنع رسم الضريح واختار لهُ الرخام من مقالع كرارا وشرع في عملهِ ولكن حدث ما شغل بال البابا عن اتمام العمل ولم تعد النفقات تدفع الى ميخائيل وخشي من كيد مناظريهِ فهرب من رومية وعاد الى فلورنسا لكن البابا تغلب على خصومهِ وعاد فاستدعاهُ ورحَّب بهِ وامرهُ ان يصنع لهُ تمثالاً كبيرًا من النحاس لينصبهُ في بولونا فاقام خمسة عشر شهرًا على عمل هذا التمثال ونصبهُ في اوائل سنة ١٥٠٨ وهو يمثل البابا جالساً بحلتهِ والتاج على رأسهِ لكن اهالي بولونا ثاروا بعد ثلاث سنوات ورموا التمثال وكسَّروهُ

واستدعاهُ البابا الى رومية وانتدبهُ لتزيين سقف كنيسة سكستوس بالصور ولم يكن ميَّالاً الى التصوير ميلهُ الى عمل التماثيل فتذمَّر من ذلك اولاً لكنهُ تغلَّب على طبعهِ وصوَّر الصور المطلوبة فجاءت خير ما قامت بهِ شهرتهُ وكانت حياتهُ جهادًا مستمرًّا بين اميالهِ الطبيعيَّة والعوائق الكثيرة المحيقة بهِ وهو بين هذه وتلك مستمرُّ الدأب لا يكلُّ ولا يملُّ. ولم يتم تلك الصور الاَّ سنة ١٥١٢ فجاءت آية من آيات التصوير. ثم عاد الى اتمام ضريح البابا وتوفي البابا بعد اربعة اشهر وطلب وارثهُ ان يصغَّر الضريح عمَّا رسمهُ اولاً فصغَّرهُ لكنهُ بقي عظيماً فخيماً ولا يعلم كم كان قبل ذلك

ونُصب البابا ليون العاشر فارسل ميخائيل انجلو الى فلورنسا لكي يبني واجهة كنيسة فيها ويزينها بالتماثيل

ومرَّت السنون وهو يعمل اعمالاً لا يميل اليها الى ان صوَّر صورة الدينونة واتمها وعرضها سنة ١٥٤١ فجاءت آية في فن التصوير وعين في السنة الثانية مهندساً لكنيسة مار بطرس فاقام في تجديدها وتزيينها الى ان وافتهُ منيتهُ سنة ١٥٦٤

وهو اشهر رجل بين رجال النهضة الايطالية فقد كان من امهر المصورين والنقاشين وكان ايضاً شاعرًا وبنَّاءً وعالماً بالهندسة الحربيَّة . ولهُ ايطاليا بل اوربا كلها مديونة في اتقان فني التصوير وعمل التماثيل كما انهُ هو مديون لما رآهُ فيها من آثار الاقدمين

شكوى اللغة العربية

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي   وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني   عقمتُ فلم اجزع لقول عداتي
ولدتُ ولمّا لم اجد لعرائسي   رجالاً واكفاء وأدتُ بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية   وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظاتِ
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق اسماء لمخترعاتِ
انا البحر في احشائهِ الدر كامنٌ   فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي
فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني   ومنكم وان عزّ الدواء اساتي
فلا تكلوني للزمان فانني   اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزّاً ومنعة   وكم عزّ اقوام بعز لغاتِ
اتوا اهلهم بالمعجزات تفنناً   فيا ليتكم تأتون بالكلماتِ
ايطربكم من جانب الغرب ناعبٌ   ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ   بما تحتهُ من عثرة وشتاتِ
سقى الله في ارض الجزيرة اعظماً   يعزّ عليها ان تلين قناتي
حفظنَ ودادي في البلى وحفظتهُ   لهنّ بقلب دائم الحسراتِ
وفاخرتُ اهل الغرب والشرقُ مطرقٌ   حياءً بتلك الاعظم النخراتِ
ارى كلَّ يوم في الجرائد مزلقاً   من القبر يدنيني بغير أناة
واسمع للكتّاب في مصر ضجةً   فاعلم ان الصائحين نعاتي
أيهجرني قومي عفا الله عنهم   الى لغة لم تتصل برواةِ
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى   لعاب الافاعي في مسيل فراتِ
فجاءَت كثوب ضم سبعين رقعة   مشكلة الالوان مختلفاتِ
الى معشر الكتّاب والجمع حافلٌ   بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإمّا حياة تبعث الميت في البلى   وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعدهُ   ممات لعمري لم يُقَسْ بمماتِ

محمد حافظ ابرهيم

نهج العلمُ صراطٌ مستقيم

مربع العلم لا ديار اماما   فيهِ تستشعر القلوب هياما
هو يقري الارواحَ فضلاً ونُبْلاً   وهي تقري الاجسام منها سقاما
وتراهُ يسقي القلوب برودًا   حيث تذكي في عَقْوتيها(١) ضراما
مربع فيهِ للعلى آنسات   حسنت مألفًا فطابت مقاما
كم جلونا من المعاني عروسًا   واجتلينا من البيان مداما
ورشفنا من العلوم زلالاً   وبللنا من الزلالـــ اواما
وهجرنا ديار سلمى واروى   واجتنبنا التشبيب والآراما
روض علم تستشعر العين منهُ   في مغانيهِ هيبةً واحتراما
فترى الهيئة ارتقت فارتنا   من نجوم العلى وجوهًا وساما
فلكم اوضحت خفيًّا لنظَّا   رِ اليها وقرّبت اجراما
وترى البدرَ قابَ قوسين قد شا   خَ وان اشبه الحبيب ابتساما
هرمًا صافحَ الفضاءَ بدورٍ   جالَ فيهِ فاولدَ الأَياما
اخرجتهُ عن كبدها الارض محمو   مًا الى فسحةِ الفضا مستضاما(٢)
نَبَذَتهُ ولم تراقب لهُ حُرْ   مةَ قربى ولم تراعِ ذماما
فاحتفت فيهِ ظلمةُ الجوّ اذ قد   اطفأَت من لظى جواهُ اواما
وكستهُ الشمسُ المنيرة منها   ثاقبًا يصدعُ الدُّجى والظلاما
مذ رأَتهُ عن امهِ الارض منفيًّا   حَبَتْهُ من نورها انعاما
فاباحَ الضياءَ من احد الشطر   ينِ وَجهًا والاخرَ الإظلاما
ثم لما رأَتهُ عنها قصيًّا   جذبتهُ فراغ منها انهزاما
غير ان القربى تريهِ اقترابًا   وإباهُ يوليهِ نأيًا ترامى
فهو يسري ما بين جذب ودفع   ويرى السيرَ بين ذاك لزاما

وترى (الكيمياء) تثمر علمًا   جل بالاختبار حتى تسامى
صافحتها كفُّ الاوائل لمَّا   انسوا من سنا ضياها ضراما

---

(١) ساحتيها   (٢) اشارة الى اشتقاق القمر من الارض

اجهدُوا النفس والنفيس وافنوا   زَهْرَةَ العمر لم ينالوا مراما
طلبوا مبدأ الحياةِ اغترارًا   وتحرّوا من الغنى (٣) اوهاما
ثمَّ لما اتاهم عَرَضًا ما   جلَّ نفعًا في العلم قالوا سلاما
فهي خرقاء انتجتْ ايَّ علمٍ   رُبمَّا انتج اللئامُ كراما
وتحرّى الصحيح (دلتون) لمَّا   نظَّم الكيمياء درًّا نظاما
اين هذا من (جابرٍ) ذي مرآءٍ   جدَّ في الكسر اذ رآهُ التئاما
فهو يبغي الاكسير جهلاً ودلتو   نُ تحرَّى بها امورًا جساما
وهي كم انتجت عجيبًا وابدت   فائدات للعلم كانت دعاما

صاحِ ما هذه التي تظهر الخا   في وقد جدَّ في السّرارِ اكتتاما
ابرزتْ مضمر المخبإِ بالرَّسمِ   وقد كان في الخفاء اقاما
هي نصفُ الاكسير دقَّت فجلَّتْ   يُكبرُ الدَّهرُ شأنها اعظاما
مخضت عالم (الفتوغراف) لمَّا   شدَّ (رنتجن) ازرها احكاما
شاهد (الباريوم) قد ضاء فاستا   مَ بهِ بارقَ النجاح وشاما
واطاعتهُ من اشعة (اكسٍ)   شامساتٌ لم تلوِ عنهُ الزماما
مثلما سخِّر الاثيرُ (لمركو   ني) وقد كان صعبهُ لن يُراما
نصبٌ قد اقامها تقنص الشا   ردَ منهُ فتستبين المراما
كيف من بالعراق فورًا بلاسلـ   ـكٍ يُرِي الرَّأْيَ من يحلُّ الشاما

ما التي قد تأزرت مطرف الرِّ   يح عليها الغمامُ التي لثاما
شاهدت قبَّةَ السماء عليها   من سنا الشهب نثرة ونظاما (٤)
فشأتها (٥) والغازُ يخفر منها   كبدًا كان بالعلى مستهاما
وتسامت من حيث يصعدها غا   زُها خفَّ يستريث (٦) النعامى
كرهت صحبة الورى فاستطارت   واستطالت على السماء مقاما
اترى ظنَّت الثريَّا مدامًا   ام ترى ظنَّت النجومَ ندامى
نازعتها الريح السرى فاستشاطت   وعلتْ غاربًا لها وسناما

---

(٣) اشارة الى تطلبهم الاكسير   (٤) من منازل القمر
(٥) سبقتها   (٦) يستبطئ

وا[illegible]ت فوق عالم الارض حتى   نشرت في العلى لها اعلاما
ثم جاشت بها الحميَّةُ اذج   رّ عليها السحاب جيشًا لهاما
طالبًا نصر أُمّهِ الريح لمَّا   ملأَ الارض والسماء قتاما
مذ تبدى يسوق منهُ ركاما   خلتها يذبلاً يقلُّ شماما(٧)
فاختِيّ يزجي الدلوحَ(٨) وقد جلل   وجه النهار منهُ ظلاما
فانبرت نحوهُ وقد جاش من غيـ   ظٍ ولكنها الدُّ خصاما
واستشاطت غضبي عليهِ وقد الا   بسها الغيظُ شرةً وعراما(٩)
ثم شقّت احشاءهُ وتعالت   حيثُ مدت فوق الغمام غماما
كم قتيل مضى بها وشهيدٍ   جرعتهُ على يديها حماما
ثم لما انتهى بها السير حارت   ثم القت للارض منها الخطاما

اظهر العلم للورى معجزات   بيِنّات تخالهـا احلاما
انطق البكم اكسب الصمّ سمعًا   مثلما علَّم الجماد الكلاما
لك يا ناطق (الفُنُغْراف) حالٌ   فيهِ ادهشتَ بالبيان الاناما
قد ابحت المكتوم من كل سرٍّ   لم تراعِ عهدًا ولم تخشَ ذاما
كم رأينا للكهرباء عجيبا   تٍ امورٍ تحير الافهاما
وروينا لها احاديث حازت   حادث المجد والمعالي القدامى
فهي كم قرّبت بعيدًا وَجرّتْ   مثقلات وكم انارت ظلاما
سخّروا ثائر البخار وزجرَ   البحر بل مدّهُ لها استخداما
واحالوا اشعة الشمس فيها   قوةً قبل ذاك لن تستاما

كم اساغوا من الطبابة كأسًا   عادَ منها سيف المنون كهاما(١٠)
مذ اماطوا الستار عن كل مكرو   بٍ ازاحوا الكروب والآلاما
انبتوهُ ليعلموا كيف يحيا   فاتَّقوا شرهُ فكان سلاما
فتأملهُ في الجلاتين تبصر   لالوفِ الالوف منهُ ازدحاما
دقَّ جسمًا عن ان تراهُ عيون النا   سِ واعتامَ للفنا الاجساما

---

(٧) اسما جبلين (٨) السحاب الكثير الماء
(٩) الشرّة الحدة والطيش والعرام الشراسة (١٠) الكهام الكالّ

وعجيبٌ من كائنٍ قد تناهى   صِغَرًا اوسع الورى اعداما
سارَ فيهِ (بستورُ) يعجم منهُ   مخبرًا عزَّ قبلهُ اعجاما
وارتقوا في الجراحة المرتقى الاسـ   ـمى فساموا الفساد فيها اهتضاما
كم درأنا (بالمصل) داءً دويًّا   وكفانا "التلقيح" داءً عقاما

وتناهوا في فهم كلّ خفيٍّ   فحسبنا افكارهم الهاما
نهضوا للعلى على حين انَّا   ما برحنا عن المعالي نياما
احسنوا للحجى الوفادة لمَّا   ان حفظنا للجهل فينا مقاما
فالى مَ الهجودُ والناس ايقا   ظٌ وماذا القعودُ والعلمُ قاما
هل رأينا الطريق وعرًا وقد جـ   ـدَّ بهِ الناس فاجتنبنا الزحاما
ام رأينا هذي الحياة جهادًا   فخشينا في ذا الجهادِ الصداما
لا يساوي اولو البطالة من قد   ربحَ الوقت خلسةً واغتناما
لا يساوي المجاهدين قعودٌ   اخلدوا للهوى وخانوا الذماما
شاهدوا بارقَ التمدن فاستا   موا اذاهُ اقبح بهم سوَّاما
تركوا منهُ ما استطاب اغترارًا   واجتنوا منهُ ما امرَّ التزاما
ليس من سنَّة التمدن ان نمسي على الجهل والهوى قوَّاما
ليس من سنة التمدن ان تطوي الصدورُ الاحقاد والاوغاما
ليس من سنة التمدن ان نستقرئ اللهو او تديم المداما
انما سنة التمدن ان تنهض بالعلم   والعلاء قياما
انما سنة التمدن ضمٌّ   واجتماعٌ لا يعرف الانقساما
انما سنة التمدن ان تُلفى على الصعب في العلى مقداما
انما سنة النجاح ثباتٌ   فيهِ تلقى لدى الشتات اعتصاما
انما تدركُ النجاح عليًّا   تٌ نفوسٍ تعانق الاقداما
نشأت في فضيلة العلم والتهذيب حتى لا تعرف الاثاما
يا لقومي في مَ وحتى مَ نلقي   امرنا في يد الهوى استسلاما
ان بقينا والجدُّ عنا قصيٌّ   فاقرئونا عن المعالي السلاما

النبطية   احمد رضا

منزلة الشعر من التاريخ

١٨ اوهام العرب

ولا بأس بايراد شيءٍ من اوهامهم فمن ذلك

١ً ذهابهم الى ان دماء المتضاغنَين لا تختلط معاً قال المتلمس

احارث لو انَّا تُساط دماؤُنا   تزايلنَ حتى لا يمس دمٌ دما (١)

وقال المثقَّب العبدي

فلو انَّا على حجر ذبحنـا   جرى الدميان بالخبر اليقينِ

٢ً زعمهم ان لكل شاعرٍ تابعاً من الجن يلقّنهُ الشعر قال ابو النجم العجلي

اني وكل شاعرٍ من البشَرْ   شيطانهُ انثى وشيطاني ذكَرْ

وقال جرير بن عطية

رأيت رقى الشيطان لا تستفزُّهُ   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال الفرزدق في وصف قصيدة لهُ

كأنها الذهب العقيان حبَّرها   لسان اشعر خلق الله شيطانا

وكانوا يزعمون ان اسم شيطان الفرزدق عمرو . وقال الاعشى ميمون في شيطانهِ وكان يدعوهُ مسحلاً

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعَوا لهُ   جُهُنَّام جدعاً للهجين المذمَّمِ (٢)

ومما يروونهُ لحسان بن ثابت قولهُ

ولي صاحب من بني الشيصبان   فحيناً اقول وحيناً هُوَهْ (٣)

وذهبوا الى ان الجن لا ياكلون قال شمير بن الحارث الضبي

اتوا ناري فقلت منون قالوا   سراة الجنّ قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم   زعيم نحسد الانس الطعاما

لقد فُضِّلتمُ بالاكل فينـا   ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أَمِطْ عنا الطعام فان فيهِ   لآكلهِ النقاصة والسقاما (٤)

---

(١) تساط تخلط (٢) قيل ان جهنام اسم تابعة عمرو بن قطن وكان عمرو يهاجي الاعشى . وجدعاً للهجين اي الزمهُ الله الجدع اي قطع عنهُ الخير . والهجين هنا اللئيم . والمذمم المذموم

(٣) الشيصبان اسم قبيلة من الجن والهاء في هوه هاء السكت (٤) امط نحِّ

وقد مرَّ معنا عند الكلام عن تدمر انهم قالوا ان الجن هم الذين بنوها بالصفاح والعمد فاثبتوا لهم احتراف البناء (٥)

وزعم آخرون ان الجن بارعونَ في فنون الغناء ودليلهم قول القطامي

تبيت الغول تهرج ان تراهُ   وصنج الجنّ من طرب يهيمُ

وقالوا ايضاً بمعرفتهم فنون القتال قال ابو دهبل الجمحي

جنِّية او لها جنٌ يعلمها   رمي القلوب بقوس ما لهُ وترُ

وزعموا انهم يوقدون الشُعَل في الليل قال الاعشى ميمون

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة   للجنّ بالليل في حافاتها شُعَلُ

وانهم يتعرَّضون للناس فيثيرون وساوسهم قال كهدل الراجز

وابعثْ لهُ يا ربّ عنا شُغُلا   وسواس جنّ وشلالاً مدخلا
وجَرَباً قشراً وجوعاً أطحلا (٦)

وكانوا اذا تغالوا في وصف غادة حسناء قالوا انها جنية قال حسان بن ثابت

جنيَّة ارَّقني طيفها   تذهب صبحاً وترى في المنام

وكانوا يعتقدون بان الجن يتلوَّنون كالغول قال امية بن ابي عائذ الهذلي "صحارٍ تغوَّل جِنَّانها (٧)"

٣ً الغول

والغول عندهم حيوان وصفهُ عنترة العبسي بقولهِ

والغول بين يديَّ يخفى تارة   ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ
بنواظر زرق ووجه اسود   واظافر يشبهن حدَّ المنجلِ

وقال ابو المضراب عبيد بن ايوب

ولله در الغول ايُّ رفيقة   لصاحب قفرٍ خائف يتقتَّرُ (٨)
فلما رأت ان لا اهال وانني   شجاع اذا هزَّ الجبان المطيَّرُ
اتتني بلحن بعد لحن واوقدت   حواليَّ نيراناً تبوخ وتزهرُ (٩)

وكانوا يزعمون انهُ يتكلم كالبشر وانهُ اذا ضرب ضربة واحدةً مات فان ثُنّي عليهِ عاش (على ما هو شائع بين البسطاء حتى الآن) قال تابط شرًّا

---

(٥) ذاك قول مَن يأخذ كلام النابغة مأخذ الحقيقة لا المجاز (انظر صفحة ١٠٧٩ من المجلد الـ ٢٧ من المقتطف)

(٦) القشر مصدر بمعنى اسم الفاعل والقاشر الكاشط . والاطحل الذي يأخذ منهُ الطحل وهو وجع الطحال

(٧) الجنان جمع جان وهو اسم جمع للجن

(٨) يتقتر يتهيأ للقتال

(٩) باخت النار خمدت وزهرت اضاءت

واني قد لقيت الغول تهوي   بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ (١٠)
فشدَّت شدةً نحوي فاهوى   لها كفي بمصقولٍ يمانِ
فاضربها بلا دهش فخرَّت   صريعاً لليدين وللجرانِ (١)
فقالت عُدْ فقلت لها رويداً   مكانك انني ثبتُ الجنانِ
فلم انفكَّ متكئاً لديها   لانظر مصبحاً ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح   كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ

وكانوا يسمون اناث الغول سعالِي وسعالى مفردها سعلاة وسِعلاة قال الاشتر النخعي

خيلاً كامثال السعالى شزَّباً   تعدو ببيض في الكريهة شوسِ

٤ً التمائم

وكانوا يتخذون التمائم لدفع الاذى قال علقمة بن علقة

ولا مُلقٍ لذي الودعات سوطي   أُلاعبهُ وربتهُ اريدُ (٢)

وقال عبدالله بن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم   طفلة زانها اغرُّ وسيمُ (٣)
يتقي اهلها العيون عليها   فعلى جيدها الرقى والتميمُ (٤)

وقد ذكر ابو ذئيب الهذلي فساد ذلك بقولهِ

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفعُ

٥ً الصفَر

ومن اوهامهم ان في البطن دويبة مثل الحية يسمُّونها الصفَر تعتري من بهِ شدة الجوع قال اعشي باهلة

لا يتأرى لما في القدر يرقبهُ   ولا يعضُّ على شُرسُوفهِ الصفرُ (٥)

٦ً السلوانة

ومن اوهامهم السلوانة وهي خرزة شفافة اذا دفنتها في الارض ثم بحثت عنها رأيتها سوداء

---

(١٠) السهب الفلاة والصحصحان ما استوى من الارض

(١) الجران مقدم عنق البعير من مذبحهِ الى منحرهِ وقد اطلق هذا الشاعر الجران على كل عنق فدخلت بذلك عنق الغول فكان قولهُ مجازاً مرسلاً من باب تسمية الشيء باسم جزئهِ

(٢) الودعات خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصغر والكبر

(٣) الطفلة الرخصة الناعمة والوسيم الحسن

(٤) الرقى جمع رقية وهي العوذة والتميم جمع تميمة وهي خرزة رقطاء يُتعوَّذُ بها

(٥) تأرى الشيءَ تحرَّاهُ . والشرسوف مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن

فكانوا يسحقونها ويسقون ماءها لمن ابتلي بحب فيزول عنهُ الحب ويسلو وتسمى هذه الخرزة سلوة وسلوانًا قال عروة بن حزام في السلوة

فما تركا من رقية يعلمانها   ولا سلوة الاَّ بها سقياني

وقال رؤبة   مسلم لا انساك ما حييتُ   لو اشربُ السلوان ما سليتُ
ما بي غنى عنك وان غنيتُ

وفي لسان العرب ان السلوان "هو ما يؤْخذ من تراب قبر ميت فيذَرُّ على الماء فيسقاهُ العاشق ليسلو عن المرأة فيموت حبهُ" واستشهدوا على ذلك بقول بعضهم

يا ليت ان لقلبي من يعلّلهُ   او ساقيًا فسقاني عنكِ سلوانا

وقال بعضهم السلوانة حصاة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وعلى ذلك شاهد النحاة

شربتُ على سلوانة ماء مزنة   فلا وجديد العيش يا ميُّ ما اسلو

٧ً الطيرة

ومن اوهامهم ايضًا الطيرة فانهم كانوا يتشاءمون ويتفاءلون قال تميم بن ابي مقبل العامري

انَّا مشائيم ان امسيت جاهلنا   يوم الطعان وتلقانا ميامينا

وقال المقنَّع الكندي

وان يزجروا طيرًا بنحس يمرُّ بي   زجرتُ لهم طيرًا يمرُّ بهم سعدا

وقال علقمة الفحل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها   على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُومُ

وكان منهم من يتفاءل بالسانح قال ذو الرمَّة

خليليَّ لا لاقيتما ما حييتما   من الطير الاَّ السانحات واسعدا

ويتشاءم بطير الشمال قال ابو ذؤَيب

زجرتُ لها طير الشمال فان تكن   هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

ومما تشاءموا بهِ نوع من الطير يسمى الاخيل قال الفرزدق

اذا قَطَنًا بلَّغتَنيهِ ابن مدرك   فلُقّيتِ من طير اليعاقيب اخيلا

وقال حسان بن ثابت

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي   فما طائري فيها عليك بأَخيلا

قال العيني محمود "اهل نجد يتيمنون بالسانح دون البارح واهل الحجاز بعكس ذلك قال النابغة (الذبياني) وهو نجدي فتشاءم بالبارح

زعم البوارح ان رحلتنا غدًا   وبذاك تنعاب الغراب الاسودِ

وقال كثير وهو حجازي ممَّن يتشاءم بالسانح

اقول اذا ما الطير مرَّت مخيفة   سوانحها تجري ولا استشيرُها

فهذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي والحجازي لغة النجدي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدي

فبيني على طير سجيس نحوسةُ   واشأم طير الزاجرين سنيحُها(٦)

وقال الاعشى وهو نجدي

اجارهما شرٌّ من الموت بعد ما   جرت لهما طير السنيح باشأم

وقد ذكر الكميت الاسدي عدم مبالاتهِ بهذا الوهم في قولهٍ

ولا انا ممن يزجر الطير همُّهُ   اصاح غرابٌ ام تعرَّض ثعلبُ
ولا السانحات البارحات عشيةً   امرَّ سليم القرن ام مرَّ اعضبُ (٧)

وذكر لبيد العامري كون هذا الوهم باطلاً بقولهِ

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

اما النابغة الذبياني فاطال الكلام في تفنيد هذا الوهم حيث قال

تعلَّم انهُ لا طيرَ الَّا   على متطيّر وهو الثبور (٨)
بلى شيءٌ يوافق بعض شيءٍ   احايينًا وباطلهُ كثيرُ

وأُنشد لمرقش السدوسي

لا يمنعنَّك من بقا   ء الخير تعقادُ التمائمْ
ولقد غدوتُ وكنت لا   اغدو على واقٍ وحاتمْ (٩)
فاذا الاشائم كالأيا   منِ والايامن كالاشائمْ
وكذاك لا خيرٌ ولا   شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزُّبو   رِ الاوليّات القدائمْ

وفي كلام علقمة والكميت ولبيد والنابغة شواهد على ان ذوي العقول الثاقبة من العرب كانوا ينكرون الطيرة وما كان قول النابغة "زعم البوارح" الَّا من باب متابعة القوم لا من باب الاعتقاد ولذلك قال زعم وزعم مطية الكذب

امين ظاهر خيرالله

---

(٦) السجيس الدائم   (٧) الاعضب المكسور القرن   (٨) الثبور الهلاك

(٩) الواقي الصرد وهو طائر والحاتم الغراب

عمران العراق

ديانة اهالي بابل

يتعذَّر البحث عن عمران العراق من غير التفات الى العقائد الدينيَّة التي كانت سائدةً فيهِ كما يتعذَّر البحث عن عمران غيرهِ من الممالك القديمة من غير نظر الى اديان اهاليها . لان للعقائد الدينية اليد الطولى في جمع الامم وسن الشرائع وتقرير الاحكام وتوجيه اميال النفس الى الخير او الى الشر . وتكون العقائد مسبَّبات في اول الامر ثم تصير اسباباً تتولَّد من تأثير الافعال الطبيعية في النفس ثم تتسلط عليها تسلُّطاً مطلقاً

وقد يُظنُّ لاول وهلة ان البحث عن العقائد البابليَّة المكتتبة بمثابة البحث عن اقدم ما تخيَّلهُ الانسان او ما اوحي بهِ اليهِ لان الكتابات التي تحويها قديمة جدًّا تمتدُّ الى اقدم عهد وُجدت الكتابة فيهِ . غير ان النظر في هذه الكتابات دلَّ على ان تلك العقائد تغيَّرت وتبدَّلت قبلما ضُمِّنَتها الكتابات البابليَّة بعصور كثيرة وصار منها دينان مختلفان الدين العام دين جمهور الشعب والدين الخاص او الرسمي وهو دين رجال الدولة وخاصَّة الامَّة . الاول كثير الخرافات والاوهام يكاد يكون مزيجاً من التنجيم والطلاسم والثاني كثير القواعد والاحكام مؤلف من اصلين مختلفين اصل سماري واصل سامي الاول مبني على وجود ارواح هيوليَّة حالَّة في كل جسم . وقد يُرَى الجسم ولا ترى روحهُ او ترى الروح ولا يرى الجسم الذي تحتلهُ او يرى الجسم وترى الروح ايضاً . فالصخر يرى جسمهُ ولا ترى روحهُ والصاعقة ترى روحها ولا يرى جسمها والسهم المنطلق عن الوتر يرى جسمهُ وتُرَى روحهُ ايضاً اي حركتهُ التي توصلهُ الى الغرض وتوقعهُ فيهِ

والاصل الثاني وهو السامي مبني على وجود الهٍ متسلط على الكون مثل سائر الاديان الساميَّة

ولما سكن الساميون مع السماريين في بابل على ما تقدم وامتزجوا بهم اقتبس السماريون منهم الاعتقاد بوجود الله وكانوا يعتقدون ان للسماء روحاً وللارض روحاً وللعمق روحاً ولكل شيء روحاً فما يسميهِ الساميون اله السماء يسميهِ السماريون روح السماء لكن معتقد السماريين يختلف اختلافاً جوهريًّا عن معتقد السماريين فان هؤلاء كانوا يعتقدون ان اله السماء شبيه بالناس في كل اوصافهِ وهذه الاوصاف اكمل فيهِ منها في الانسان وهو ذكر وانثى ولهما ولد وارث لهما وبكلمتهِ برأ المخلوقات من العدم وهو قادر ان يعيدها الى العدم

ويسمي الساميون هذا الاله "بعلاً" اي سيدًا او زوجاً كما تسمي المرأة زوجها بعلاً .

وقد اختلفت البعول باختلاف القبائل فكان لكل قبيلة بعل خاص بها ثم لما تحضَّرت تلك القبائل وبنت المدن صار لكل مدينة بعل خاص

وقالوا انَّ هذا البعل يتجسَّم في جسم الشمس فهي الاله الحسي ملك السماء والارض . وكما ان للشمس فعلين متناقضين انماء المزروعات وانضاج الاثمار من الجهة الواحدة وتيبيس المزروعات وتجفيف الاثمار من الجهة الاخرى فهي نافعة وضارَّة معاً

من هذين الاصلين اي الاصل السماري والاصل السامي تألَّفت الديانة الرسمية في بابل والديانة العامة ايضاً فالساميون اعطوا السماريين آلهتهم وكهنتهم وهياكلهم وشعائرهم الدينية . والسماريون اعطوا الساميين اعتقادهم بالارواح والسحر والطلاسم والكتب الدينية . ولم يكن عند السماريين في اول الامر كهنة لخدمة الآلهة بل سحَرة لدفع اذى الارواح لانهم كانوا يعتقدون ان الارواح تضرُّ ولا تنفع فلا بدَّ من ساحر يدفع اذاها عن الناس بتعزيمهِ ومن ذلك نشأ الطبُّ لدفع اذى الامراض . ثم رأوا ان ثلاثة من تلك الارواح تستحق ان ترفَّع على غيرها روح السماء وروح الماء وروح العمق او ما تحت الارض حيث تذهب ارواح الناس بعد الموت وحيث تجمع الارواح الشريرة فاحلُّوها محلاً رفيعاً وعبدوها وبنوا لها الهياكل واقاموا الكهنة لخدمتها وكان ذلك قبل اتصالهم بالساميين

وكانوا يرصدون الكواكب فحسبوا ان لها علاقة بمصالح الناس واشركوا معها الارواح فالَّهوها ومن اقدم هياكلهم هيكل في نبور للاله مُل ليل او ال ليل اي مولى عالم الارواح وهيكل في اريدو على بحر فارس لايا اله القمر. ولما كانت اريدو مركز التجارة كان سكانها يرحلون الى البلدان القاصية ويزيدون اختباراً ويأتي مدينتهم التجار من اماكن مختلفة فيستفيدون منهم علماً ومعرفة فصار الهها اله العلم والنور الذي يسرُّ بنفع الناس ومنحهم نعمة العمران وساعدهُ في ذلك ابنهُ ويسمونهُ اساري وكان يعلن مشيئتهُ للناس ولقبوهُ بالمنعم او الرحيم

فصار في البلاد مصدران للعقائد الدينيَّة الواحد في نبور شمالي بلاد بابل وهو يثبت السحر والطلاسم والشر والظلمة وكل ما يخشى والثاني في نبور جنوبي البلاد وهو مصدر النور والعلم الذي ينعم بالخيرات على بني الانسان ويشفي امراضهم. وقالوا ان الاله ايا هو اول مشترع واول من اوجد العمران وابنهُ اساري يبعث الموتى ويرد اليهم الحياة

ثم لما امتزج الساميون بالسماريين حسبوا ان مل ليل الهُ نبور هو الههم بعل وصاروا يعتقدون انهُ متسلِّط على العالم العلوي والسفلي وابقوا اسم ايا على حالهِ وقالوا ان سلطتهُ تمتد على المياه كلها وابنهُ اساري هو مردخ اله بابل. ولما قوي شأن بابل قوي شأن هذا الاله ايضاً

فاحتلَّ محلَّ ابيهِ كما احتلَّ زفس الاصغر محل زفس الاكبر عند اليونانيين . وكان السماريون يسمُّون روح الجو انو فقال الساميون انهُ اله الجو وعبدوهُ في مدينة ارك وعبدوا اله القمر في مدينة اور على الضفة الغربية من الفرات

ويقال جملة ان الساميين الهوا بعض الارواح التي كان السماريون يعتقدون بوجودها لكن تعذَّر عليهم ان يؤلهوها كلها فابقوا ثلثمئة روح منها وستمئة روح للارض والاولى هي جند السماء التي كان بعل ربًّا لها

واقتضت اللغة السامية وجود الهةَ مع الاله لان فيها صيغة للمؤنث بازاء المذكر فقالوا انهُ توجد بعلة كما يوجد بعل لكن مقام المرأة لم يكن رفيعًا عندهم كمقام الرجل فانحطَّ مقام الاهاتهم عن مقام آلهتهم الاَّ مقام استار او الزهرة لانها كانت من آلهة السماريين وكان السماريون يجلون مقام المرأة على ما تقدَّم فبقيت على مقامها الرفيع

وكان السماريون يعتقدون ان تموُّز روح الينابيع والغدران فقال الساميون انهُ عشيق الزهرة وان ناب خنزير الشتاء قتلهُ او انهُ فقع من حرّ الصيف فجعل النساء يجتمعن كلَّ سنة في شهر حزيران (جون) وينحن عليها وينتفنَ شعورهنَّ . وقالوا ان الزهرة نزلت الى الهاوية لتنقذهُ فتعذَّر عليها انقاذهُ وقد نظموا هذه القصَّة شعرًا كانوا يتغنون بهِ في عيدهِ

وكانوا يعتقدون ان الشمس تشرق وتغرب من بين جبلين يحرسهما رجال اجسامهم كالعقارب ورؤُوسهم في السماء واقدامهم في الهاوية ووراء الحد الغربي الذي تغرب فيهِ الشمس البحر المحيط ومياه الموت ووراءها جزيرة الخالدين حيث يقيم الابرار المقربون والى هناك نُقل نوح بعد الطوفان اما غيرهم من بني الانسان فينحدرون بعد الموت الى الهاوية حيث تطير الارواح كالخفافيش في الظلام. هناك ارض الظلمة والنسيان ولها سبعة ابواب وسبعة حرَّاس يمنعون الارواح ان تهرب من سجنها ويبتلعون الاحياء ابتلاعًا. والالاهة اللات ترقب ماء الحياة النابع من تحت عرشها الذهبي وامامها اخيلة الابطال القدماء وكلٌّ منهم متوَّج بتاج خيالي وجالس على عرش خيالي لا ينهضون عن عروشهم الاَّ حينما تأتيهم روح ملك من ملوك الارض لتنضم اليهم فينهضون لتحيتها

ثم نبغ في البلاد اناس فاقوا غيرهم ذكاء فجمعوا المعتقدات القديمة ومحَّصوها والَّفوا منها نظامًا دينيًّا فقالوا انهُ كان في البدء خلاء العمق فنشأ منهُ الالهان الاولان لخوم ولخامو ثم الالهان انصار وقيصار وهما الجو الاعلى والاسفل واخيرًا الهة الساميين العظيمة انو وبعل وايا واجتمعت هذه الالهة كلها لخلق السماء والارض ولكن نشبت الحرب اولاً بينها وبين طيامات

تنين العمق فتطوّع الاله مردخ لقتالهِ فدحرهُ هو واتباعهُ وصنع جلَد السماء من جلدهِ وماء الينابيع من دمهِ ووُضع للعمق حدٌّ لا يتعداهُ فيغمر الارض ويردها خاوية كما كانت. ووضعت الشرائع والقوانين للاجرام السموية حتى لا تتعدّى مداراتها بل تكون مقياساً للازمنة والاوقات ثم خلقت النباتات والحيوانات وخلق الانسان ليتسلَّط عليها وقد خلق الانسان من تراب الارض لكنهُ جُعل ابناً للآلهة لانهُ خُلق على شكلها ومثالها

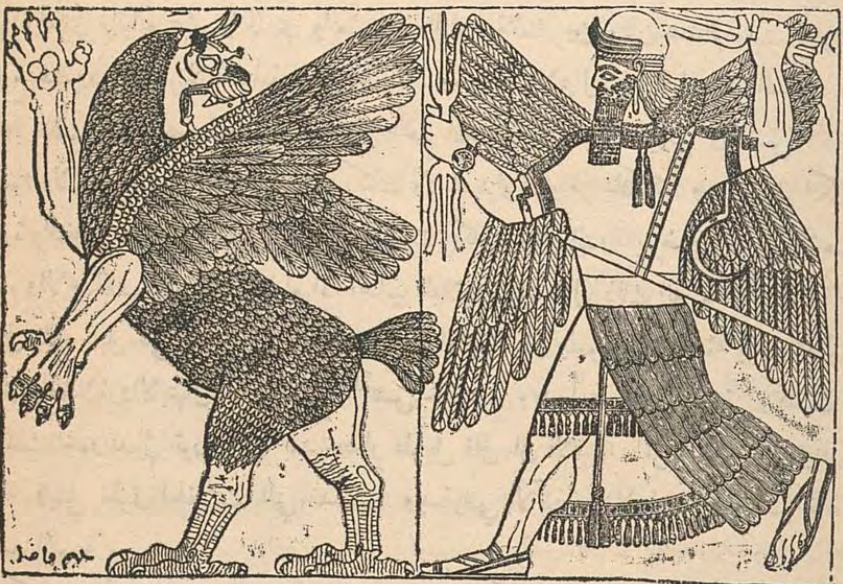

ورُسمت مبارزة مردخ لطيامات على جدران هيكل بعل في بابل وهي المرسومة في هذا الشكل ولعلهم اشاروا بذلك الى الزمن الذي كانت فيهِ مياه الفرات ودجلة غامرة بلادهم ثم حجزوها واحيوا البلاد وعمّروها

وكان عند البابليين كتب دينية يؤتمن عليها الكهنة ويتعلمها خاصة الشعب ولاتخفى امورٌ كثيرة منها على عامتهم ولاسيما الاناشيد والتراتيل فان جمهور الشعب كان يتغنى بها في الحفلات الدينية وقد جمعوا هذه الاناشيد في كتابٍ فكان كالڤيدا عند الهنود والتوراة عند اليهود ولغتهُ سمارية لانها كانت اللغة الدينية . وكانوا يدققون في تلاوتهِ ومن لحن فيها فسدت عبادتهُ . وترجموا هذه الاناشيد الى اللغة السامية ووضعوا لها علامات لتقييد لفظها السماري حتى لا يلحن احد في تلاوتها ثم أُضيفت اليها اناشيدُ منظومة للشمس نظمها الساميون لكنهم كتبوها باللغة السمارية القديمة وكانوا يختمون كل نشيد من اناشيدهم بكلمة امانو التي

تقابل كلمة آمين بالعبرانية او العربيَّة

وكانت الخدمة الدينية مستمرة فكانوا يقرّبون ذبيحةً كل يومٍ ويعيّدون اعيادًا مختلفة في كل شهر من شهور السنة وعندهم رسوم دينية لليل كما عندهم للنهار وكانوا يحفظون ايام الاهلَّة بالتدقيق وكل يوم سابع . وكلمة سبت العبرانيَّة والعربيَّة من كلمتي سا اي قلب وبات اي نهاية يعنون بذلك انهُ يوم الانتهاء من العمل واراحة القلب . وكانت سبوتهم في اليوم السابع من الشهر القمري والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين وكان عندهم سبت آخر في التاسع عشر من الشهر لانهُ نهاية سبعة اسابيع . وحرَّموا الاعمال على انواعها في السبوت ولم يجيزوا للملك اكل اللحم المطبوخ فيهِ ولا اللحم المدخَّن ولا تغيير الثياب ولا لبس الحلل البيضاء ولا تقديم الذبائح ولا ركوب المركبات ولا اصدار الاوامر الملكيَّة . وحرموا على الكهنة الطيرة والتفاؤُل ووصف الادوية في ايام السبوت وكان رجال الدولة يفرضون على الشعب الصوم والاعتكاف في بعض الايام اذا اصاب البلاد ضيق مثال ذلك انهُ لما تهدَّدت قبائل الشمال بلاد بابل على عهد الملك اسرحدون امر الانبياء بان يصوم الشعب مئة يوم ومئة ليلة يحيونها بالصلاة والابتهال لكي يرفع اله الشمس خطيتهم ويدرأ عنهم شرَّ الغزاة وكذلك لما قمع الملك اشوربنيبال ثورة بابل بعد حصارٍ طويل قال ان الانبياء امروهُ لكي يطهر مجالس الرحمة وينقي طرق الحفلات التي تدنَّست ويسترضي الآلهة والالاهات بابتهالاتٍ خاصة ومزامير التوبة

وكانوا يطهّرون الارض التي يبنون فيها هياكلهم بسكب الخمر والزيت والعسل. والهياكل مربعة في ساحة كبيرة فيها برج عالٍ من طبقاتٍ متدرّجة يضعون محراب الاله في اعلاه ويستخدمونهُ للارصاد الفلكية وهو يماثل المرتفعات التي كانت تستعمل في بلاد كنعان . قال هيرودوتس ان قمة البرج التي في هيكل بعل مردخ ببابل لم يكن فيها سوى مقعد ومائدة

وتوضع صورة الاله في محرابٍ داخل الهيكل وهو ما يسمَّى بقدس الاقداس وامامها مائدة ذهبية عليها خبز الوجوه وتحتها البركو او مجلس الرحمة حيث يجلس الاله الاعظم وتحيط بهِ الآلهة على حسب معتقدهم وامام هذا المحراب مذبحٌ مصفحٌ بالذهب ومرحضة من النحاس تقابل البحر في هيكل سليمان وتكون واقفة على رؤُوس اثني عشر ثورًا من النحاس وهي تمثل العمق الذي تطفو الارض عليهِ

وقد اكتشف العالم رسام في نينوى هيكلاً قديمًا فيهِ مذبح يُصعَد اليهِ بدرج وامامهُ عند مدخل الباب تابوت فيهِ صفيحتان من الرخام طول كلٍّ منهما قدمٌ وعرضها ثلثا قدم وضعهما

اسور نزربال ملك اشور وكتب فيهما خبر انشائهِ لذلك الهيكل . ولما وجدتا ظنَّ العمال النساطرة انهما لوحا الوصايا العشر في تابوت العهد. ويكون في الهيكل احياناً حجرٌ قائم يسمَّى بيت إيل يُمسَح بالزيت ويُحسَب ان روح الاله تحلُّ فيهِ. وظلَّت الذبائح تُقدَّم لهذه الحجارة الى عهد نبوخذنصَّر وخلفائهِ

وكانت ذبائحهم الدينيَّة من البقر والغنم والمعزى والحمام وتقدماتهم من الاثمار والبقول والخبز والخمر والزيت والطيوب وتختلف تقدماتهم فبعضها للخطية وبعضها للشكر

وكهنتهم طائفة كبيرة وكان لرئيسهم السلطة الدينية والدنيوية فكان هو الملك ثم استولى على المُلك غيرهُ فلم يبقَ لهُ الاَّ السلطة الدينيَّة ثم اشترك في هذه السلطة كثيرون فلم يبقَ لهم رئيس واحد ويتلو ذلك كثيرون من الخدم للاعتناء بادوات الهيكل ومسحها بالزيت وتقديم القرابين ومنهم الانبياء الذين ينبئون بمشيئة الالهة ويرافقون الجيوش ويحدّدون الازمنة التي يحسن فيها الهجوم ثم معبّرو الاحلام

وكان بعض الكهنة خصياناً وهم قائمون في هيكل الزهرة لخدمتهِ مع العذارى المتبتلات لخدمتها وهؤلاء العذارى كنَّ يسكنَّ في الهيكل ويجوز لهنَّ ان يقتنينَ الاملاك ويتعاطينَ التجارة ليعطينَ جانباً من ربحهنَّ للهيكل وكان بعضهنَّ من العيال الشريفة بل من عائلة الملك وهنَّ غير النبيَّات اللواتي كنَّ يتنبأْن باسم الزهرة وغير البغايا اللواتي انقطعنَ للبغاء في خدمتها. وقد كان لهؤلاء الكاهنات النبيات هيكلٌ في اربلا تنبَّأْنَ فيهِ لاسرحدون نبوات كثيرة لم تزل محفوظة الآن وقد قلنَ في واحدة منها ما تعريبهُ " لا تخف يا اسرحدون اني انطق بروح النبوة ولا اخفي عنك شيئاً اعداؤُك يذوبون من امام قدميك كما تذوب السيول في سيوان انا السيدة العظيمة زهرة اربلا التي جعلت اعداءك يهربون امام قدميك اين الكلمات التي كلمتك بها حتى انك جحدت انا زهرة اربلا اعطيك اعداءك الاوكيين اسلمهم ليدك واسير امامك والى جانبك لا تخف انت في وسط الذين يبرئونك انا في وسط جيشك اتقدمهُ واقف منتظرة "

وكان الكهنة يتقاضون اموال الهياكل من الشعب كلهِ فيأخذون العشور من كل احدٍ من الملك الى الصعلوك فقد ذكر ان الملك نابونيدس دفع العشور لهيكل سبَّارة خمسة امناءٍ من الذهب اي ٨٤٠ جنيهاً حين ارتقائهِ الى عرش الملك ويستدل من ذلك انهُ وجد من النقود في خزانة القصر ما يساوي ٨٤٠٠ جنيهٍ. وكان للهياكل اوقاف بعضها يقوم الفلاحون على خدمتهِ وهم مرتبطون بهِ كأنهم ارقاءٌ وهم في الحقيقة احرار اي انهم لا يباعون مع الارض

بثمن ولكن لا يباح لهم ان يفارقوها وبعضها يقوم الكهنة على خدمتهِ وبعضها يؤجر للمستأجرين

وكانت هذه الفرائض الدينية معروفة لدى خاصَّة الشعب اما العوام فكانت ديانتهم قائمة بالسحر والطلاسم لا غير ولذلك كان جمهور البابليين من اهل الاوهام فكانوا ينصبون الثيران المجنَّحة على ابواب قصورهم وسائر مبانيهم لكي تطرد الابالسة وتمنعها من دخول المنازل وهي مثل الشديم والكاروبيم عند اليهود وكأنهم كانوا يحسبون الدنيا مملوءة بالابالسة والارواح الشريرة التي ليس لها من شغلٍ الاَّ الايقاع بالناس وتعذيبهم فكانوا اذا شربوا ماء او اكلوا طعاماً حسبوا انهما لا يخلوان من الارواح الشريرة ولا بد من طردها منهما بالتعزيم قبل الاكل والشرب ونسبوا كل الامراض والاوصاب الى هذه الارواح الشريرة وقالوا انهُ يمكن منعها او نزعها بالعزائم والتمائم وان الجنون من فعل الشيطان خاصةً فلا يزيلهُ الاَّ الساحر او الراقي. وألَّفوا كتباً كثيرة ضمنوها العزائم والرُّقى التي كانوا يخرجون بها الارواح الشريرة او يمنعون ضررها ومن قبيل ذلك ربطهم حجاباً حول اعضاء المريض بخيطٍ يُعقد سبع مرات

وزعموا ان الارواح والغيلان تُفلت من اجسام الموتى ومن الهاوية في ظلمة الليل وتمتص دماء الاحياء وان الكابوس واحد منها يركب صدر النائم قاصدًا خنقهُ ورئيس هؤلاء الابالسة ليلة زوجة ليل وقد اقتبس اليهود هذا الاسم من البابليين فذكروها بلفظ للث في نبوة اشعيا

وكان للابالسة كهنة خاصُّون بها يعبدون زهرة غير الزهرة المعبودة في ديانة المملكة ويلجأ اليهم عامة الشعب ليكتبوا لهم العُوَذ والتمائم التي تقيهم شرَّ الابالسة فيتحجبون بها او يضعونها على ابواب بيوتهم دفعاً لدخول الاذى اليها وفي آخر كل عوذةٍ او تميمة الكلمات الآتية انا فلان ابن فلان الذي معبودهُ الاله الفلاني اضرع اليك واطلب منك والثم يديك واسجد لك طالباً ان تهلك الساحر والساحرة اللذين سحراني لكي اعيش واسرَّ قلبك

اما خاصة الشعب فكانوا يترفعون في الغالب عن هذه الخزعبلات ويتقدمون الى معبودهم كما يتقدم اليهِ المتعبدون في كل زمان ومن اناشيدهم في مثل ذلك ما ترجمتهُ

لقد اغتاظ الرب مني فليرضَ عليَّ
ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ
لترضَ الالاهة التي لا اعرفها
ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ والالاهة التي لا اعرفها
يا الهي خطاياي عديدة ومعاصيَّ كثيرة لا اعرف ما هي خطيتي ولا ما هي معصيتي
نظر الربُّ اليَّ في حموّ غضبهِ واعلن الله نفسهُ لي وهو ساخط عليَّ

استعنتُ فلم اجد معيناً . بكيتُ ولم اجد معزّياً . ناديتُ بأعلى صوتي ولم يسمع احد لي . هوذا انا مضطرب في ضيق ولا اجسر ان ارفع عينيَّ . الى الله الرحيم التفت وارفع صلاتي . اقبّل قدميْ الهتي وابللهما بدموعي فتستحيل خطاياي الى نِعَم ومعاصيَّ تبدّدها الرياح . انزع عني آثامي الكثيرة نزع الثوب . يا الهي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفر خطاياي . يا الهتي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفري خطاياي

وهذه الصلاة وجدت في مدينة اردو وتاريخها قبل ابرهيم الخليل بقرون كثيرة ومن قبيلها نشيد لإِله القمر نُظم اولاً في هيكل اور المدينة التي وُلد فيها ابرهيم الخليل قبل عهدهِ بزمنٍ طويل ويقال فيها

يا ابي الطويل الاناة والكثير الغفران الذي في يدهِ حياة كل انسان

البكرُ القدير الذي صدرهُ يسع كل شيءٍ ولا يقع تحت قياس

العليُّ في الاعالي انت انت وحدك انت العليّ

مَنْ هو العليُّ في الارض انت انت وحدك انت العليّ

مشيئتك معلنةٌ في السماء والملائكة تسجد لك ومشيئتك معلنةٌ على الارض والارواح السفلى تجثو لك وتلثم التراب

ومن هذه الاناشيد ما يظهر منهُ ان البابليين او فريقاً من خاصتهم كانوا يعتقدون بوحدانيَّة الله وقد بيَّن السر هنري رولنصن ان فريق الموحدين هؤُلاء نشأَ اولاً في مدينة ارك وعلَّم ان الهة الكلدانيين المختلفة انما هي مظاهر من الاله الواحد انو . ولم يكثر انصار هذا المذهب ولكن كان الميل الى التوحيد شائعاً بين خاصة البابليين حتى لما صارت بابل عاصمة المملكة صار الهها مردخ الاله الاعظم او اله الآلهة وكاد الناس يقتصرون على عبادتهِ كما يظهر من الدعاء الآتي الذي دعا بهِ الملك نبوخذنصَّر وهو

الى مردخ سيدي اصلّي ومنهُ اطلب. كلمة قلبي اتجهت اليهِ فقلت ايها الملك انت الكائن منذ الازل رب الوجود

الملك الذي تحبهُ والذي تدعوهُ باسمهِ كما يحسن في عينيك هو الذي تهديهِ وتحرسهُ وتسيّرهُ في سبيل البرّ انا الملك الذي يطيعك انا عمل يديك انت خلقتني وائتمنتني على ملك جماهير من الناس حسب مشيئتك الصالحة التي قضيت بها عليهم كلهم ايها السيد اعنّي على محبة عظمتك ودع خوف لاهوتك يسكن قلبي وامنحني ما تراهْ صالحاً لان منك حياتي

قال الاستاذ سايس بعد ترجمة هذه السطور ان من يصلي هذه الصلاة ليس بعيداً عن ملكوت الله

غرائب الاحلام

انَّ رأينا في الاحلام معروف وهو انها كلها هواجس واضغاث غير منتظمة ان صدق شيءٌ منها فمن قبيل الاتفاق . والذين يدَّعون انهم حلموا احلاماً صحت تماماً لو كتبوا ما حلموا بهِ وقابلوا بينهُ وبين ما يحدث لوجدوا بينهما بوناً شاسعاً لا يصحُّ معهُ ان يقال ان ماحدث دلَّ الحلم عليهِ . ولكن من الناس مَن يبقي الحلم في ذهنهِ صورة غير واضحة فاذا حدث لهُ حادث بينهُ وبين الحلم اقل علاقة عادت صورة الحلم الى ذهنهِ على شكل جديد منطبق على ما حدث ولو بعض الانطباق فيحسب ان ما تصوَّرهُ في اليقظة هو نفس الحلم الذي حلم بهِ في المنام

وقد اطَّلعنا الآن على مقالة في مجلَّة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها طريق الاحلام بقلم لادي كري زوجة لورد كري الذي كان سفيراً لانكلترا في الاستانة وهي من اشهر الكاتبات باللغة الانكليزية وابلغهنَّ . وظاهر الامر انها تصدق بعض الاحلام او بعض ما يجيءُ فيها ولعلها لو تحرَّت كتابة كل حلم كما كُتِب الحلم الاخير من الاحلام التالية لوجدتها كلها اضغاثاً تقلُّ عن ظنون اليقظة صحَّة . وهذه خلاصة مقالتها

من الاحلام ما يؤَثر في نفس الحالم تأثيراً خصوصيًّا يُشعرهُ باهميتها وانها ليست مثل بقية الاحلام التي يحلمها وهي لا يمكن ان يكون سببها تلبك المعدة باكل المآكل الغليظة ككثير من الاحلام التي تنشأُ عن التخمة . ومنها ما ينبئُ بحوادث تجري في المستقبل كما جرى لي في الحادثة الآتية التي ان لم يكن ما تمَّ فيها ضرباً من الانباء بالغيب بل مجرد صدفة واتفاق فهي صدفة اغرب من النبوءَة واعجب

فقد حلمت ذات يوم اني دعيت لحضور وليمة وانا بعد صغيرة السن يصحبني شيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأُ على عصاهُ . وفي اليوم التالي دُعيت لحضور وليمة وكان شابٌّ قد عُيِّن ليرافقني الى المائدة فلما ابطأَ جاءُوا لي بشيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأُ على عصاهُ ليرافقني اليها بدلاً من الشاب فجزعت في بادىء الامر لمرآهُ ولاسيما لانطباقهِ على الحلم ولكنني سررت بصحبتهِ بعد ذلك وقصصت حلمي عليهِ ثم استطردنا في الحديث الى الاحلام وغرائبها فاعتذر عن ظهورهِ لي في الحلم على غير قصد منهُ وقال ان هذا شأن الاحلام فانها تأتي على ضدّ ما يشتهي صاحبها ويريد وانهُ لما كان صغير السن كانت احلامهُ مملوءَة بالمخاطر فلما صار كهلاً لم يكد يحلم بشيء او اذا حلم لم يتذكر ما يحلمهُ وهو الآن شيخ فانٍ كثير الاحلام ومعظم احلامهِ عن ايام طفوليتهِ وصباهُ وما كان يجري لهُ في تلك الايام

وقد عرفت لورنس اولفنت وهو ممّن اشتهر باحلامهِ الكثيرة ودقة شعورهِ فقال لي انهُ لا يعرف سبب الاحلام النبوية وخصوصاً في الاحوال التي لا علاقة البتة فيها بين الحالم والمحلوم بهِ ثم قصَّ عليَّ احلاماً كثيرة من هذا القبيل اذكر منها القصة الآتية

وهي انهُ كان نائمًا في منزلهِ بعد عودتهِ من اليابان ولم يكن بعدُ قد اتبع تعاليم هرس الاميركي (١) . فحلم انهُ رأى رجلاً غريباً واقفاً بجانب فراشهِ ينظر اليهِ كأَنما يستغيث بهِ او يطلب منهُ قضاء لبانة لهُ . فقال في نفسهِ وهو على تلك الحال ترى ما هي العلامة التي استطيع تمييز هذا الرجل بها اذا رأَيتهُ في حال اليقظة ثم حدق اليهِ فلم يرَ في اول الامر ما يميزهُ تمييزًا خصوصيًّا عن غيرهِ ولكنهُ رأى بعد طول التفرُّس فيهِ ان في وسط جبهتهِ ثقبًا كبيرًا مستترًا تحت شعر ناصيتهِ كأَنهُ جرح معولٍ والدم يقطر منهُ وعند ذلك أَفاق من نومهِ بغتةً

ومضت سنة تعرَّف في غضونها بهرس المذكور وقبل تعاليمهُ وتبعهُ هو وثمانون تلميذًا من اتباعهِ الى غابة من غابات اميركا حيث انقطعوا الى درس مذهبهِ وهم بمعزل عن هذا العالم وغرورهِ وفي ذات يوم ركب اولفنت جوادهُ وخرج للتنزه فلقي جماعة من الفعلة الانكليز يصلحون الطريق المحاذية للغابة حيث كان هرس واتباعهُ مقيمين فانفرد رجل عنهم وتفرَّس في وجه اولفنت طويلاً كأَنهُ يعرفهُ ولكنهُ لم ينبس ببنت شفة فلحظ اولفنت انهُ هو الرجل الذي رآهُ في منامهِ منذ سنة . فسأَلتهُ عمَّا اذا كان قد رأَى في جبهتهِ أَثرًا للجرح الذي رآهُ فيها وهو نائمٌ . فأَجاب كلاَّ ولكن تمهلي قليلاً فسكتُّ وانتظرت

وكان الفعلة يستعدون للذهاب الى حانوت قريب من ذلك المكان ليستريحوا فيها فقرَّ رأْي اولفنت على موافاتهم الى ذلك المكان بعد ساعة ليستقصي امر الرجل ولكنهُ لما وصل علم ان الرجل تخاصم هو وآخر من رفاقهِ فضربهُ رفيقهُ بمعول في جبينهِ فسقط الى الارض مغشيًّا عليهِ ونقلوهُ الى غرفة اولفنت لانهُ كان مشهوراً عندهم بالطب والعرافة ولكنهُ مات بين يديهِ ومات معهُ سرُّ الحلم الذي حلمهُ اولفنت ان كان لهُ سرٌّ

وهاك حادثة من هذا القبيل جرت معي . وهي اني كنت ليلة من ليالي نوفمبر المكفهرة نائمة واذا بي أَراني في شارع ضيق وسمةُ الفقر بميسمهِ وكان الضباب كثيفاً حتى خيل لي انهُ

---

(١) احد مشاهير المصلحين الاجتماعيين ولد في انكلترا سنة ١٨٢٣ ولكن اباهُ هاجر الى اميركا وعمرهُ اربع سنوات وهو صاحب طريقة دينية معروفة باسم "اخوية الحياة الجديدة" واتباعها يحترمون التوراة ويجلون قدر الزواج ويقال ان لهُ نحو الفي نفس من الاتباع وهم منتشرون في انحاء العالم ومنهم لورنس اولفنت المذكور في هذه القصة وزوجتهُ

شارع من شوارع لندن وكنت راكبة مركبة فوقفت بي امام باب منزل من احقر منازل الشارع وكان معي صرر جئت بها لغرض معلوم . ففُتح الباب فرأَيت خلفهُ امرأَة لابسة قبعة قذرة ترتجف كأَنها مصابة بالبرداء . وكان الممرُّ مظلمًا ضيقًا ينتهي الى دار صغيرة وقد مدَّ فيها حبل نشرت عليهِ ملابس كأنها اطمار بالية وفي ارضها نقع من المياه القذرة تشمُّ منها رائحة الصابون فأَخذ مني الاشمئزاز والنفور مأخذهما . وبينما انا على تلك الحال سمعت صوتًا كأَنهُ صوت حفر في الارض وصوت صدمات ثقيلة عند قدميَّ فالتفت الى غرفة عن يميني فرأَيت رجلين من الذين يكفنون الموتى قد انحنيا فوق شيءٍ اسود مستطيل وكانا يجرّانهِ . فحوّلت وجهي الى المرأَة التي فتحت لي الباب وسأَلتها عن ذينك الرجلين فلم تجب بكلمة بل ضحكت ضحكة استهزاءٍ فأَمعنت النظر في وجهها فرأَيتهُ مشوه الخلقة قبيحًا وزاد استقباحي لها لما رأَيتها ذات لحية وصوت يشبه صوت الرجال الَّا انها لابسة ملابس النساء . فذعرت من منظرها وقلت في نفسي اني افضل ان اكون مع المكفنين اشاهد ما يفعلان على ان اكون واقفةً مع هذه المرأَة ففررت الى الغرفة المذكورة واغلقت بابها ورائي

غير اني لم أَرَ احدًا فيها مع انني رأَيت المكفنين يدخلانها وكان كلُّ ما رأَيتهُ سجادة بالية عليها رسوم ورق الكرنب وعدة كراسي ومقعد محوك من شعر الخيل . وللغرفة شبَّاكان مشرفان على الشارع مكسران وستائرهما اشبه بالشباك لا تدفع نورًا ولا تقي بردًا . ثم اطللت على الشارع فقلت في نفسي ما اقبح هذه المناظر التي اراها وما اشدَّ سوادها فان النفس تنقبض منها والصدر يضيق لرؤْيتها ثم مرَّ جنديٌّ من الحرس لابس ملابسهُ الحمراء ومرَّت بازائهِ فتاة لابسة ملابس زاهية فابرقت اسرتي وسرّي عني لاني لم اعد اراني منقطعة عن العالم وانا في تلك الغرفة المدلهمة

هذه نهاية حلمي وقد انقضى وترك في مخيلتي اثرًا سيئًا ثم حدث لي ما يشبههُ

وتفصيل ذلك انهُ لم يكد يمرُّ على الحلم شهر حتى رأَيتني في لندن في يوم اظلمت سماؤُهُ وتكاثف ضبابهُ واقفة امام باب المنزل الذي رايتهُ في نومي لمهمة إحسان اقضيها . وكان معي سلال وصرر تحتوي على طعام ولباس لفقيرة بائسة تسكن المنزل وهي تتقلَّب على فراش المرض وكانت هذه اول مرة في عمري خرجت فيها لمثل تلك المهمة فلا يمكن ان يكون حلمي تذكُّرًا لحادثة تشبهها لانها كانت فريدة في بابها . ولما فتح الباب نكص الشخص الذي فتحهُ الى الوراء وانزوى خلفهُ ليستر سحنتهُ القبيحة المشوَّهة وكان ملتحيًا وعلى رأْسهِ قبعة قذرة تشبه ما رايتهُ في الحلم وكذلك كلُّ ما رايتهُ في الدار لا يختلف بشيءٍ عما رأَيتهُ في منامي

وبينا انا مندهشة مما يجري درت الى اليمين لادخل الغرفة التي في الطبقة السفلى واذا بالمرأة — ان صحّت تسميتها امرأة — اشارت اليَّ ان اتبعها ثم صعدت امامي على درج ضيق يؤدي الى الطبقة العليا . وهذا هو الامر الوحيد الذي يختلف عما رأيتهُ في منامي واما سائر ما شاهدتهُ فكان ينطبق على الحلم كلَّ الانطباق . فاني رأيت سجادة عليها الرسم الذي رأيتهُ في الحلم ومقعداً مصنوعاً من شعر الخيل الى آخر ما هنالك . ولما التفتُّ الى الشباكين رأيتهما مكسرين ومصلحين على نحو ما رأيت في حلمي . ثم اشرفت منهما على الشارع فرأيت جنديًّا من الحرس وفتاتين سائرتين معهُ

اما المرأة التي جئت لمساعدتها فلها قصة طويلة ملخصها ان امها توفيت فتزوج ابوها امرأةً قست عليها فهربت من بيت ابيها تخلصاً من الجور وعمرها خمس عشرة سنة فجاعت وأُغريت بالبغاء تخلصاً من الجوع اولاً ثم لكي تقيت طفلها الى ان توفي وكان يساكنها حينئذٍ رجل شرير سكير التهم كل ما كنت آتيها بهِ من الطعام وحاول ثلاث مرات ان يسلبني ما معي كما علمت بعدئذٍ ولم تكن نجاتي منهُ الاَّ بوصولي اليها قبل الميعاد المضروب او بعدهُ . ومن الغريب ان حلمي لم يلمَّ البتة بهِ ولا اشار اليهِ باشارة انذار تداركاً لشرّهِ على اهميَّة علاقتهِ بالقصة على ان الامور الطفيفة التي لا يعبأُ بها مثل رائحة الهواء وحقارة المنزل والشخص الذي فتح الباب والجندي الذي مرَّ في الشارع والرسم المرسوم على البساط تطابقت كلها في اليقظة والمنام

وهذا حلم آخر قصهُ عليَّ احد اقاربي وكان عند رؤْيتهِ لهُ جنديًّا في بورما فقال انهُ حلم ذات ليلة انهُ يشمُّ رائحة كريهة كما ينبعث من جثة غريق طال عليها البقاء في الماء . ثم رأى أباهُ تحت الماء ومنظرهُ كمنظر الاموات فاستيقظ من نومهِ وكتب تاريخ يوم الحلم وساعتهِ . وعلم بعد ذلك ان اباهُ وعملهُ وسق السفن في احد مواني ارلندا كان يقود حصاناً جموحاً حذاء الرصيف فدفعهُ الحصان الى الماء فغرق وكان الوقت مساءً فلم يعثروا على جثتهِ حتى بقيت مدة في الماء . وظهر لابنهِ ان اباهُ غرق في اليوم الذي رأى الحلم فيهِ وفي الساعة نفسها

ويقال ان من الاحلام ما ينبئُ بعكس ما يراهُ الحالم كأن تحلم ان رجلاً اعطاك بصلة فتأتيك هدية خاتم من الماس او تحلم انك ماشٍ عارياً في مكان عموميّ فتكون النتيجة انك تدعى الى حفلة رقص فتلبس فيها افخر ملابسك . وهاك قصة من هذا القبيل قصتها على سيدة تركية ايام كنت في الاستانة . وهي انها حلمت انها رأت ابنها وقد كان ملازماً في الجيش مكتوف اليدين ثم سيق الى ساحة امام الثكنة التي تقيم فرقتهُ فيها وأُعدم رمياً بالرصاص فجزعت لذلك الحلم لانها لم تعرف بما تأولهُ وخافت ان يكون نذيراً بسوءٍ يصيب ابنها في المستقبل

فقصّت ما رأتهُ على اهل بيتها صباح اليوم التالي ولكنها لم تقل انها حلمت بابنها بل وضعت شخصاً آخر موضعهُ وذلك لانهُ كان قد حضر بالاجازة حديثاً فخافت ان يؤثر حلمها تأثيراً سيئاً فيهِ . والشخص الذي احلتهُ محلهُ ضابط شابٌ من ضباط فرقتهِ . ثم لبست يشمكها وذهبت الى عرّاف لمشاورتهِ في الامر فقصّت عليهِ حلمها ولم تذكر شيئاً عن ابنها بل وضعت الضابط رفيقهُ موضعهُ . ففسَّر العرّاف حلمها بما حملها على الاطمئنان من نحو ابنها قائلاً انهُ من الاحلام التي تنبئُ بعكس ما سيجري وان صدر الضابط سيحلَّى بالنياشين بدلاً من ان توثق يداهُ بالحبال كما رأت في منامها . وان اخذهُ الى ساحة الشكنة يعني ترقيتهُ الى رتبة قائد لفرقتهِ

فلما سمعت المرأة بهذا التعبير سرَّت سروراً لا مزيد عليهِ ونهضت واقفة على قدميها ونادت باعلى صوتها قائلة للعرّاف " ولكني لم احلم بالضابط رفيق ابني ولا يهمني امر ترقيتهِ بل حلمت بابني نفسهِ " فاجابها العرّاف بصوت خافت ولكن لماذا خدعتِني انكِ ستجنين جزاء جهلك لان النياشين التي كانت معدة لابنك سينالها رفيقهُ ولا قوة في الارض تستطيع ان تحرمهُ اياها

وكانت النتيجة ان الضابط المذكور نال النياشين كما قال العرّاف وحُرمها ابنها

وهذه قصة اخرى عن امرأة حلمت حلماً مفزعاً رأت ملاك الموت فيهِ امامها وخلفها " مشمّر الاردان للقبض " وشعرت بحرّ انفاسهِ وشاهدت عظام هيكلهِ فتشاءمت بذلك وظنّت انها لا تعيش كثيراً بعدُ ولكنها عمرت طويلاً وعاشت عيشة هنيَّة وتحرير الخبر اني دُعيتُ في صباي لقضاء عيدي الميلاد وراس السنة في منزل بداخليَّة البلاد فصحبتني اليهِ سيدة ذات جمال ودلال . وكان المنزل غاصًّا بالمدعوين والمدعوّات من الشبان والشابات ولم يكن بينهم سوى نفر من المتقدمين في السنّ يعدُّون على الاصابع . وفي مساء آخر ايام السنة اجتمعنا للسهرة ولعبنا العاباً كثيرة من جملتها لعبة للتكهُّن بما سيجري لكلٍّ منّا في المستقبل . وعند انقضاء السهرة وقفت رفيقتي وصاحت بغتة كمن هبط عليهِ وحي او الهام قائلة ليعتقد كلٌّ منّا ان ما يحلمهُ هذه الليلة يتمُّ لهُ في السنة القادمة . واعلموا انهُ لا يجوز لأحد ان يكتم شيئاً من حلمهِ بل يجب ان يقصهُ علينا حرفاً حرفاً في صباح الغد ونحن على المائدة . فاتفقنا على ذلك ثم تفرقنا للنوم وصاحبتي تكاد "تروع مهابة وتذوب ظرفاً" وتطير مما بها من خفة الروح ورشاقة القدّ ولطافة العنصر ورقة المزاج

ولكن ما اصبح اليوم التالي حتى خرجت من غرفتها ضئيلة تدور على عينيها الجميلتين هالتان سوداوان ويلوح للناظر اليها انها اكبر مما كانت عليهِ بعشر سنين . وقد لاح لنا من منظر عينيها

انها كانت مستغرقة في البكاء . وكانت عصبية المزاج دقيقة الشعور حتى اعتقد كلٌّ منَّا انهُ ان هبط الوحي على احد منَّا في تلك الليلة فعليها اوكشف ضمير من ضمائر الغيب فلها . فلما ظهرت لنا بذلك المظهر خشينا ان يكون الالهام قد جاءها بما لا تحبُّ لنفسها ولا نحبهُ نحن لها

ولما رأيناها على تلك الحال لم نشأ ان نسألها عن السبب ولكننا اخذنا في قص احلامنا بعضنا على بعض آملين انهُ اذا جاءها الدور باحت لنا بغريب امرها . وهكذا كان فانهُ لما قص كلٌّ منا حلمهُ ولم يبقَ غيرها شرعت في الكلام بعبارات متقطعة وحدثتنا بما رأت في نومها اجابة لطلبها فأصغينا اليها بأشد الانتباه. وعند ما فرغت من الكلام اقترح بعضهم ان تكتب حلمها فتطبع عدة نسخ منهُ وتوزع على اصحابها . فامتثلت لما اقترح عليها وطبعت عدة نسخ من حلمها فاعطيتُ نسخة منها وها هو نصُّ الحلم على ما ورد فيها بلسان صاحبتهِ قالت :—

"حلمت انني في حديقة عمومية من مدينة لا اعرفها وكان الزمن صيفًا . وكنت لابسة ثوبًا ابيض يجرُّ اذيالهُ على الارض . فلما اشتدَّ الحرُّ طلبت ظلًّا اتفيأهُ واذا بصوت ارغن قد قرع مسمعي فالتفت الى الشارع القريب من الحديقة فرأيت كنيسة كبيرة والناس يهرعون اليها فقصدتها ودخلتها في من دخلها فشعرت ببرد كاد يصل الى قلبي فقلت في نفسي اني اجلس قرب الباب حتى اذا اشتد بي البرد خرجت ولم يشعر احد بخروجي . ولم يكن قربي احد فجلست على مقعد هناك اصغي الى ترتيل الرهبان وترنيمهم . وبينما انا اقلب اجفاني في الكنيسة والنور ضعيف قليل رأيت ان كل ما هناك من الستائر والملابس اسود اللون وعلمت ان اللحن الذي يلعب بهِ على الارغن لحن حزن . فقلت لا بدَّ ان تكون الحفلة حفلة جنازة والميت رجلًا ذا شهرة

وبينما ان افكر في من عسى ان يكون ذلك الميت شعرت بمجرى هواءٍ بارد قد لطم كتفي اليسرى ثم اضاء المكان فعلمت ان الستار المسدول على الباب قد أُزيح ولكنني دهشت من برودة مجرى الهواء الذي اصاب كتفي على حين ان الحر شديد في الخارج فالتفت واذا بي أرى شبحًا يدخل الكنيسة على عجل وتبينتهُ فاذا هو شبح عزرائيل ملاك الموت ورأيت عظام القسم الاعلى من هيكلهِ ولم ارَ ما بقي منهُ لما حال بيني وبينهُ من الستائر والسجوف . وكان ماسكًا بيديهِ قوسًا وسهامًا محددة الرؤوس فلما رآني نزع في القوس ثم صوّب اليَّ سهمًا ورماني بهِ فملت من امامهِ فاخطأني واصاب السهم جانب المقعد الذي كنت جالسة عليهِ . ثم سار في سبيلهِ مهرولًا وهو ينزع بالسهام ذات اليمين وذات اليسار حتى غاب عن الابصار بعد ما صار الهواء الذي في اثرهِ باردًا كالجمد فاصابني منهُ نفحة شعرت بقرسها وقرّها

فذعرت مما رأيت وحمدت الله على السلامة ثم نهضت من مجلسي وخرجت من الكنيسة حيث دخل عزرائيل تجنباً لهُ وحذر الالتقاء بهِ فلما صرت الى الخارج شعرت بحرّ الهواء . فتمشيت في المقبرة وانا لا اكاد امسّ اديم الارض بنعليَّ من خفة الوطء وثوبي يسحب ذيلهُ ورائي . فجعلت اقف امام بعض القبور ريثما اقرأ ما عليها من الكتابات وكان معظمها باللاتينية فلم افهم منهُ الاَّ القليل . وما زلت كذلك حتى وصلت الى قبر حفر حديثاً فدنوت منهُ ونظرت الى قعر الحفرة وقلت في نفسي لعلهُ قبر الميت الذي يجنزونهُ في الكنيسة . ثم درت لاخرج من المقبرة وادخل الحديقة العمومية ثانيةً فما شعرت الاَّ وذيل ثوبي قد علق بشيءٍ على الارض فانحنيت لأُجردهُ مما علق بهِ فاطبقت اصابعي على راس سهم مثل الذي نجوت منهُ وانا في الكنيسة واذا بي اراهُ قد غرز في ثوبي والصقهُ الى حافة القبر كما بمسمار . فالتفت الى جهة الكنيسة واذا عزرائيل واقف خلف ضريح منصوب على احد القبور وفي يدهِ قوسهُ وهو مكشّر عن اسنانهِ وعلى وجههِ سيماء الانتصار . وحينئذٍ اشتدَّ صوت الارغن وعلت نغمات لحن الحزن الذي كانوا يلعبونهُ عليهِ حتى خيّل لي ان الارض كادت تميد بي وتمور فصحت صيحة شديدة وافقت من نومي . ومضت هنيهة من الزمن قبلما ادركت انني كنت في حلم . وما زال صدري ضيقاً ونفسي منقبضة الى الآن "

والحق يقال ان فاتحة السنة الجديدة كانت فاتحة شؤْم ونحس عليها . فاشار اصدقاؤُها عليها بالانهماك في حفلات لندن تسلية لافكارها فافادها ذلك اولاً ثم عادت اليها سوداؤُها فكانت تكثر التردد الى الكنيسة ولم تكن تأكل سوى النزر اليسير . ولم تزل تسقم وتهزل حتى ظنَّ الذين لم يعرفوا شيئاً من دخيلة سرّها انها مصابة بمرض عضال . واشتدَّ بها الهزال على مرّ الايام حتى باتت ادقَّ من العود وارقَّ من الخيال فكتبت كتب وداع واعدت هدايا تذكار لنحو خمسين نفساً من اصدقائها وكانت تنوي ارسالها اليهم حتى تصلهم في صباح اليوم الاول من السنة الجديدة التي ظنت ان شمسها لا تشرق عليها وهي في قيد الحياة

ولم يمضِ على ذلك اسبوع حتى اخذت تشعر ان حالها تحسن وزرتها حينئذٍ فرأَيتها تنزع طوابع البريد التي كانت قد الصقتها على الكتب ورزم الهدايا وهي جذلة مسرورة كما كنت اراها في ايام صباها . وكان كلُّ ما رأَتهُ في نومها وخشيت سوءَ عقباهُ اضغاث احلام وضرباً من الاوهام

فهذا خبر حلم كامل التفصيل مسرود الحوادث مرَّ على ذهن امرأَة شديدة التأثر فكان حديث خرافة لاشبه فيهِ للحقيقة . ولكنَّ هذه هي طريق الاحلام. انتهى

العاديَّات المقلَّدة

لا يجلس المرءُ ساعة في قهوة من قهاوي القاهرة حتى يمرَّ بهِ عشرات من باعة العاديَّات (الآثار القديمة) كالجعلان وقطع النقود وفصوص الخواتم واشباهها فيعرضوا عليهِ بضاعتهم لمشتراها فيقلبها بين يديهِ وينقدها بعينيهِ نقداً دقيقاً ويتردَّد في مشتراها طويلاً ليس لانهُ عرف غثَّها من سمينها وميَّز صحيحها من كاذبها اذ معرفة ذلك تنحصر في اشخاص قلال زاولوا شراء الآثار القديمة وبيعها السنين الطوال بل لانهُ شاع واشتهر ان سوق تقليدها وتزويرها رائجة في كلّ مكان وان اعظم الخبيرين بها قد يخطئون التفريق بين القديم الصحيح والجديد المقلَّد منها فضلاً عن الذين لا يلمون بشيء عنها

وقد اخطر هذا على بالنا ما قالهُ رجل من موظفي المتحف البريطاني من ان تقليد الآثار القديمة بلغ مبلغاً عظيماً حتى صاروا يتقنونهُ في اقصر الاوقات . فكثرت الاشياء المقلدة في اوربا وانتشرت في كل جهاتها حتى بات الناس يشكّون في ما اذا كان هناك آثار قديمة حقيقيَّة ودخل منها الشيء الكثير الى المتاحف الاوربية رغماً عن نقد الناقدين وخبرة الخبيرين من موظفيها

ومما أثار الخواطر في هذا الموضوع أمر التاج الذهبي الذي اشتراهُ متحف اللوفر في باريس منذ سنوات وعدَّ من خيرة ما فيهِ من المعروضات والآثار القديمة فانهم يؤكدون الآن ان ذلك التاج ليس قديماً بل ان صانعاً روسيّاً ماهراً صنعهُ لرجل غير معروف سنة ١٨٩٦ وادعى ذلك الرجل انهُ تاج الملك سايتفارنيس وقد اعترف الصانع بفعلتهِ

على ان الحقيقة لا تزال مكتومة مجهولة اذ مما يدعو الى الحيرة والريبة في امر ذلك التاج انهُ بيع لمتحف اللوفر بثلاث مئة جنيه وفيهِ من الذهب وحدهُ ما يساوي هذه القيمة . فلا يعلم ما وجه ربح صاحبهِ منهُ الاَّ ان يكون فيلسوفاً اراد ان يعلّم الناس انهُ مهما بلغ مبلغ علمهم وادعائهم الكمال فلا يزال علمهم جهلاً وكمالهم نقصاً

وفي لندن وحدها الوف من الذين يعيشون من صنع الآثار التي يدعون انها قديمة وهي قد تكون بنت يومها . وما عليك الاَّ ان توصيهم بصنع ما شئت فيأتوك بعد ايام قليلة بما أُوصيت بهِ كأنما هو من عهد عاد . وفي هولندا كثيرون يقلدون عمل الآنية الفضية القديمة ويغيّرون هيئتها الخارجية بما يضيفون اليها من المواد الكيماوية حتى يخيَّل للناظر اليها انها من

بقايا القرون المتوغلة في القدم . وفي اثينا معمل لتقليد الآثار القديمة لا يستطيع العارفون تمييز مصنوعاتهِ من الآثار الحقيقيَّة . وهم يبيعون التمثال الصغير فيهِ بمئتي جنيه او ثلاث مئة على حين انهم لا ينفقون على صنعهِ جزءًا من مئة مما يبيعونهُ بهِ . ومما يتباهى رئيس المعمل بهِ ان مصنوعات معملهِ موجودة في نصف متاحف اوربا العمومية ومجموعات الآثار الخصوصية

وفي فرنسا معمل لصنع قطع من الرخام يدعي صاحبها انها من آثار بومباي التي دمرها بركان يزوف في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي وتباع القطعة منها بمئة جنيه او نحو ذلك وهي متقنة الصنع دقيقة التقليد حتى تخفى حقيقة امرها على اعظم الخبيرين

ومن الاشياء التي كثر تقليدها فصوص الخواتم التي نقشت عليها رؤُوس اشخاص وصور طيور وحيوانات ورموز اخرى حتى انهُ يحكى ان رجلاً من اعيان الروس جمع مجموعة منها انفق عليها خمسة آلاف جنيه ولكن تبيّن لهُ بعد ذلك ان كثيرًا منها مقلَّد لا حقيقي . ولما اعيتهُ الحيلة في فرز المقلَّد منها عن الحقيقي باعها كلها بجزءٍ مما انفقهُ عليها فكانت صفقة خاسرة

وفي لندن ومنشستر قوم يصنعون قطع الاثاث ويدّعون انها قديمة كانت توضع في قاعات القصور الكبيرة في عهد الملكة اليصابات وانها حفظت الى هذا اليوم ويبرزون شهادات لتعزيز دعاويهم

واميركا غنية بهذه المقلدات وقد وصفها احد الذين يصنعون الكراسيّ على مثال الكراسي التي كانت تستعمل في القرن السادس عشر فقال " اننا نصنع الكراسيّ على المنوال المطلوب ثم نغمسها في سائل معلوم حتى يعلوها الصدأ وتظهر بالية ونرميها ببعض طلقات من بندقية محشوة بالخردق حتى يلوح للناظر اليها ان السوس نخرها لطول عهدها

ويقول بعض الخبيرين ان التحف التي ابتاعها المستر مورغان الغني الاميركي الشهير ودفع ثمنها نحو مليونين من الجنيهات اكثرها مقلّد وقد احكم صانعوها صنعها حتى خفي امرها عليهِ وعلى الذين يستعين بهم في نقد ما يشتريهِ

على ان اغرب ما وصل الينا من حوادث تزوير العاديَّات حادثة شابيرا المشهورة . وشابيرا هذا رجل اسرائيليٌّ بولونيٌّ اعتنق الديانة المسيحيَّة وسيم قسيساً وجاء سورية وقد رايناهُ فيها وعرفناهُ . وبيان خبرهِ انهُ زار السر والتر بزنت رئيس جمعية النقب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين يطلعهُ على كتاب قال عنهُ انهُ يدحض آراء علماء اللاهوت الحديثين كلهم ولم يشأْ في بادىء الامر ان يبيح لهُ بسرِّ اكتشافهِ ولكنهُ باح بهِ اخيرًا بعد الحاح شديد وعلى وجههِ سيماء الاستياء كأَنهُ اكره على افشاء السر اكراهاً . فقال ان الكتاب المذكور

نسخة من سفر تثنية الاشتراع مكتوبة على رقّ ثم اراهُ قسماً منهُ وهو يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى مبالغة في التظاهر بالحذر والتحوُّط واذا بهِ مكتوب بالاحرف الفينيقيَّة التي وجدت على الحجر الموابي بحبر اسود جميل وكانت الكتابة واضحة جلية مع انهُ مرَّ عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواهُ . وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو ان الكتاب وجد محفوظاً في كهف جافٍ من بلاد موآب. فالحَّ السرّ والتر بزنت عليهِ ان يعلن اكتشافهُ للعالم فتردَّد اولاً ثم رضي ان يطلع رجلين عليهِ وهما الدكتور جنسبرج من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كوندر الذي مسح القسم الغربي من فلسطين

فدعاهما السر ولتر بزنت الى منزلهِ في اليوم التالي فظن الدكتور جنسبرج ان الدعوة عمومية تشمل موظفي المتحف البريطاني كلهم وعليهِ حضر هو وجميع موظفي المتحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كوندر ايضاً فاطلعهم شابيرا على كتابهِ فدهشوا لذلك كثيراً وقال احدهم ان الرقّ يشبه الرقَّ الحديث في منظرهِ وهو يدلُّ على اتقان صناعتهِ في ايام موسى ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية " ان هذا الاكتشاف من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة " . وقال الكبتن كوندر " ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان . فان ما هو مذكور فيهِ من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تماماً وموسى لا يذكر شيئاً عن موتهِ "

وكان في جملة المدعوين وليم سمبسون محرر جريدة " لندن نيوز المصورة " فلم يصدق دعوى شابيرا وكان يعرف جميع ما في بلاد موآب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة فقال للسر ولتر بزنت انهُ ليس في بلاد موآب كلها كهف جافٌ يحفظ فيهِ هذا السفر

وبينما كان العلماء يتداولون السفر وينقبون فيهِ ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنهُ جاء المسيو كلمان جانو من باريس لرؤيتهِ فقال " اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب فانهم قطعوا الرقَّ الذي كتب عليهِ من حواشي الدروج العبرانية القديمة . اما الكتابة فكتابة امس "

واتضح لهم بعد طول البحث ان قول جانو صحيح فرُدَّ السفر الى شابيرا ولم يطلب احد مشتراهُ منهُ . فجزع جزعاً شديداً افضى بهِ الى ان شنق نفسهُ

وعجيب في امر المشغوفين بجمع العاديات انهم كثيراً ما يكتشفون ان بين مجموعاتهم اشياء مقلدة ومزورة ولكنك تراهم غير مبالين بذلك كأن لم يكن شيء فقد عرفنا رجلاً اشترى اثراً ظنهُ قديماً ثم اتضح لهُ انهُ حديث فلم يقلل ذلك من قدر الاثر في عينيهِ بل ما زال يجلهُ ويكرمهُ ويضعهُ مع غيرهِ من الآثار القديمة كأَنهُ واحد منها

غرائب "المعاشات"

ان كانت خزينة الحكومة المصرية تئنُّ من ثقل المعاشات الكثيرة التي تؤديها الى رجال خدموها في شبابهم وكهولتهم فاقعدتهم الشيخوخة عن السعي واعجزهم الهرم عن مداومة العمل فهناك خزائن تؤدي الاموال الى اناس لم يمدُّوا يدًا الى مساعدة حكوماتهم بل لم يحركوا اصبعًا في جرِّ مغنم اليها او دفع مغرم عنها

واعظم شاهد على صحة ذلك الخزينة الانكليزية فانها تؤدي الى بعض افراد الانكليز معاشات سنوية كبيرة لغير سبب معقول حسب الظاهر سوى المحافظة على التقاليد القديمة التي اشتهر الانكليز بها . وبيان ذلك انها تدفع معاشًا سنويًّا قدرهُ اربعة آلاف جنيه الى دوق ولنتون الرابع لان جدَّ ابيهِ دوق ولنتون الاول المشهور خدم بلادهُ خدمة جليلة بانتصارهِ على بونابرت في معركة واترلو وباعمال حربية اخرى . وقد اعطت دوق ولنتون الاول ٤٠٠ الف جنيه في حياتهِ وبلغ مجموع ما اعطت ورثاءهُ منذ مماتهِ الى الآن ١٦٠ الف جنيه

وتعطي لورد نلسون خمسة آلاف جنيه كل سنة لانهُ ابن اخي الاميرال نلسون الكبير بطل ترفلجار الشهير حتى بلغ ما دفعتهُ الى نلسون وورثاء لقبهِ ما يزيد على ٧٠٠ الف جنيه وسيظلون ينقدون ذلك المقدار من الذهب ما داموا يتوارثون ذلك اللقب

وكانت الحكومة الانكليزية تدفع مبلغ اربعة آلاف جنيه الى وارثي لقب دوق مُلبرو ولكن دوق مُلْبرو الذي توفي اخيرًا اتفق معها على استبدال معاشهِ منذ خمس عشرة سنة فدفعت اليهِ مبلغ ١٠٧ آلاف جنيه . فبلغ مجموع ما دفعتهُ الى دوق ملبرو الاول وورثائهِ منذ مئة سنة الى الآن نحو نصف مليون جنيه

واعظم معاش تدفعهُ الخزينة الانكليزيَّة معاش دوق رتشمند وهو ١٩ الف جنيه وكأنهُ ربا مال قدرهُ ٣٨٠٠٠٠ جنيه على معدل ٥ في المئة واصل هذا المعاش ان الملك كارلس الثاني منح عائلة رتشمند ان تأخذ شلنًا على كل طن من الفحم الحجري يصدر من نهر التين ثم ابدل الملك جورج الثالث ذلك بمال سنوي مقدارهُ ١٩ الف جنيه كما تقدم وهي بمثابة ربا ٣٨٠ الف جنيه

وفي عهد كارلس الثاني مُنح رجل من اسلاف دوق جرافتن الحق في اختيار ما شاء من الخمور التي تجلب الى انكلترا من الخارج ودفع ثمنها على ما يعينهُ هو فكانت تلك الاثمان اسمية. وتوارث اعقابهُ ذلك الحق الى اوائل القرن الماضي فتنازل رئيس عائلة جرافتن حينئذٍ عن ذلك الحق على شرط ان تمنحهُ الخزينة هو وورثاء لقبهِ معاشًا سنويًّا قدرهُ ٦٨٧٠ جنيهًا.

وما زالوا يتناولون هذا المعاش منذ ذلك الحين اي مدة ٩٥ سنة فبلغت جملة ما تناولوهُ نيفاً و ٦٥٠٠٠٠ جنيه

وكان دوق نورفوك وهو من اغني اغنياء الانكليز ينقد معاشاً قدرهُ ٤٠ جنيهاً في السنة ولكنهُ استبدلهُ منذ سنتين او ثلاث سنوات بمال قدرهُ ٨٠٠ جنيه . واصل ذلك المعاش ان احد ملوك الانكليز منحهُ لاحد اسلاف الدوق المذكور وهو ارل صري منذ اربع مئة سنة لاشتهارهِ في معركة من المعارك . وقد بلغ ما دخل جيب الدوق واسلافهِ من هذا القبيل ١٥٥٠٠٠ جنيه ما عدا الثماني مئة جنيه المذكورة آنفاً

وينقد لورد ردني معاشاً يبلغ الفي جنيه في السنة وذلك لانهُ ورث لقبهُ عن بحَّار باسل اشتهر منذ ١٢٠ سنة او اكثر بتدمير الاسطول الاسباني الذي كان يهاجم حصن جبل طارق . فبلغ مجموع ما نالتهُ عائلة ردني بسبب بسالة ذلك السلف نحو ربع مليون جنيه وما نالهُ لورد ردني الحالي وحدهُ ٧٨٠٠٠ جنيه

ويأخذ فيكونت هاردنج ثلاثة آلاف جنيه كلَّ سنة لان جدَّهُ اشتهر في حروب الهند فنال ثلاثة توارثوا هذا اللقب ١٧٠ الف جنيه

ويأخذ لورد نبير الفي جنيه كلَّ سنة منذ سنة ١٨٩٠ لان لورد نبير الاول دوخ بلاد الحبشة على ما هو معلوم لاطلاق الاسرى منها

وليس من الانصاف ان القائد العظيم يستخدم كل قوى عقلهِ ويلقي بنفسهِ في مواقع الخطر كما فعل كتشنر وغيرهُ من القوَّاد العظام ثم تستكثر عليهِ مئة الف جنيه وموسى او ادورد التاجر او المضارب باسهم الترنسفال يكتسب من بسالة كتشنر ومهارتهِ ملايين الجنيهات ولا احد يستكثر عليهِ ذلك

اما المعاشات التي تدفعها الحكومة المصرية سنويًّا فتبلغ الآن نحو ٤٣٠٠٠٠ جنيه مصري ولو لم يستبدل بعضها بالاموال والاطيان لبلغت ستمئة الف جنيه او اكثر . ثم ان الاطيان التي اعطتها لمستحقي المعاشات بدل معاشاتهم لو بقيت في حوزتها الى الآن لزاد ثمنها اضعافاً مضاعفة . وقد بلغت الاموال التي أُعطيت معاشات في العشرين سنة الماضية ٨٦٥٥٧٤٥ جنيهاً والاموال التي دفعت في استبدال المعاشات ٦١٢ ٣٦٣٣ جنيهاً فان كانت الحكومة الانكليزية قد دفعت الوف الجنيهات لاناس اعلوا منار مجدها وملَّكوها زمام التجارة وافاضوا عليها ينابيع الثروة فالحكومة المصرية دفعت مئات الالوف لاناس لم ينفعوها نفعاً يذكر او اضرُّوا بها ضرراً لا يقدَّر

ولعلَّ اكثر البلدان دفعاً للمعاشات الولايات المتحدة الاميركية فان حكومتها تدفع في السنة ٢٨ مليونًا من الجنيهات معاشات وذلك اكثر ممَّا تدفعهُ على اي فرع آخر من فروع ادارتها كما يظهر من الجدول الآتي الذي قدرت فيهِ نفقاتها لسنة ١٩٠٣ الحالية

المعاشات	١٣٨	مليون ريال
البريد	١٣٢	" "
الحربيَّة	١٣٠	" "
الملكيَّة	١٢٦	" "
البحرية	٨٥	" "
ربا الدين	٢٧	" "
ادارة هنود اميركا	١٣	" "
والجملة	٦٥١	

وعلى كثرة المعاشات التي تدفعها لا تشكو ضيمًا بل ان ثروتها آخذة في الازدياد على اسلوب لم يرَ الناس لهُ مثيلاً

* * *

دروس الازهر

من رسالة لحضرة الفاضل السيد مصطفى بك بيرم قدمت الى مؤْتمر اللغات الشرقية الذي عقد بمدينة همبرج في اوائل سبتمبر الماضي

ان الدين الاسلامي الحنيف لا يمنع من تعلم اي علم من العلوم المعروفة الآن بين الازهريين بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعيات والعقليات وغيرها من العلوم التي تقوي ملكة الفكر . ومن كان في شك ممَّا نقول فما عليهِ الَّا ان يلقي نظرة على تاريخ القرون الاولى من الاسلام ومحافظتها على الدين مشهورة فيرى ان جيدها كان مزدانًا بكثير من فحول العلماء الذين نبغوا في هاتهِ العلوم النافعة والَّفوا فيها المؤَلفات العظيمة وبثوا فيها التعاليم المفيدة ونشروها في اطراف الارض قاطبة

وكان المسلمون كافة من خليفتهم الى اميرهم ووزيرهم يتضافرون للأَخذ بيد هاتهِ العلوم العقلية ومن يشتغل بها لما رأوا من فائدتها معاشًا ومعادًا . ذكر صاحب كشف الظنون : " ان

الخليفة الثاني من بني العباس ابا جعفر المنصور مع براعتهِ في الفقه كان مقدماً في علم الفلسفة محبًّا لأَهلها وبالاخص علم النجوم“

وعلمنا التاريخ: ” ان الخليفة المأمون العباسي كان يضطهد اعداء الفلسفة “وذكر لنا التاريخ: ” ان الامير صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى قرية المعرّة وقد عصى اهلها عليهِ فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما احس اهلها بالغلبة سعوا الى ابي العلاء المعري المشهور بتطرفهِ في الفلسفة وسأَلوهُ ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعهُ قائد يقودهُ (لانهُ كان كفيف البصر) فاكرمهُ الامير واحترمهُ ثم قال لهُ: ” أَلك حاجة “. قال المعري: ” الامير اطال الله بقاءهُ كالسيف القاطع لان متنهُ وخشن حدهُ وكالنهار الماتع اشتد هجيرهُ وبرد اصيلهُ خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين “. فقال الامير: ” قد وهبتها لك وترحل عنها “. فانظر كيف وهب هذا الامير بلداً عصى اهلهُ لفيلسوف

وهذا عمر بن عيسى رئيس المعتزلة وهذا عمران بن حيطان الخارجيّ كانا من الرواة الذين اعتمدهم الامام البخاري صاحب الصحيح. فانظر كيف كان لامام من اعظم ائمة السنَّة ان يصل سندهُ في الحديث بمتطرفين في الرأي فيلسوفين احدهما رئيس من رؤَساء المعتزلة والآخر خارجيّ

وذكر الامام ابو قاسم الحسين الاصفهاني في كتابهِ المسمى بالذريعة الى مكارم الشريعة: ” حق الانسان ان لا يترك شيئًا من العلوم امكنهُ النظر فيهِ واتسع العمر لهُ الاَّ ويخبر بشمهِ عرفهُ وبذوقهِ طيبهُ ثم ان ساعدهُ القدر على التغذي بهِ والتزود منهُ فبها ونعمت والاَّ لم يُبصر لجهلهِ بمحلهِ ولغباوتهِ عن منفعتهِ الاَّ معادياً لهُ بطبعهِ فمن جهل شيئاً عاداهُ والناس اعداءُ ما جهلوا بل قال تعالى (واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم). وحكي عن بعض الفضلاء انهُ رُئي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل لهُ في ذلك فقال وجدتهُ علماً نافعاً فكرهت ان اكون لجهلي بهِ معادياً لهُ ولا ينبغي لعاقل ان يستهين بشيءٍ من العلوم. فانظر كيف كان المتقدمون ينظرون الى كل العلوم ويعتنون بها لينوروا بها افكارهم ويوسعوا بها معارفهم للانتفاع بما تجرهُ من الخير

فبقيت تلك العلوم النافعة المعروفة الآن بيننا بالعلوم الحديثة منتشرة زاهرة بين المسلمين لا يرمون من قرأها بزيغ العقيدة ولا من استمعها بالضلالة والكفر. ومكث الحال على ذلك الى ان صارت السلطة الحقيقيَة في الدولة الاسلامية للاعاجم من التتار والمغول. ولم يكن لاغلب اولئك الاعاجم ذلك العقل الذي راضهُ الاسلام الناهي عن الاستبداد والقلب الذي هذبهُ دين ذلك الصديق الذي جعل اول خطابهِ للناس بعد المبايعة: ” ان رأَيتموني على حق

فأعينوني وان رأيتموني على باطل فردوني " . بل جاؤُوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم كأنهم لبسوا الاسلام على ابدانهم ولم ينفذ منهُ شيءٌ الى وجدانهم (١) فانقلب الحكم في ايامهم من الشورى الى الاستبداد ولكنهم وجدوا امامهم عقبة كبرى تمنعهم من مطلق التصرف في عباد الله . تلك العقبة هي العلوم التي تعرف المرء قيمتهُ وحقوقهُ وتدفعهُ لطلبها اذا رآها مهضومة وتعلمهُ ان لا يقتنع بشيءٍ يقال لهُ ولو في امور الدين ما لم يكن مقترنًا بالدليل والبرهان . فلم يرَ الامراءُ طريقًا اسهل وصولاً لنيل مرادهم من اطفاء نور العلم الاَّ محو العلوم خصوصًا العقلية منها وتقليص ظلها . فمالوا على العلم ميلة كانت هي القاضية . فاتسع المجال حينئذٍ لقصاصي السوء ووعاظ الشر ان يحشوا ما شاؤُوا في كتب الدين بما هو براءٌ منهُ وابعدوا الناس بموضوعاتهم الكاذبة عن طلب الثمرة الحقيقية التي تطلب من تعلم العلوم . ومن ذلك العهد اخذت الهمم في القعود والعزائم في الخمول والقرائح في الجمود وهجرت العلوم التي اخترعها المسلمون وقد بلغ عددها وحدها مائة وتسعين علمًا (٢) وصار كل علم لا يفهم بسبب ما طرأ على القرائح من الجمود يقال عنهُ في بادىء الامر ان قراءتهُ غير مستحبة او مكروهة ثم تترقى تلك الكراهة شيئًا فشيئًا الى التحريم. وانقلبت اوضاع التعليم حينئذٍ من واسع الاطلاق والبحث عن علل الاشياء وحقائقها الى ضيق التقليد والاكتفاء بالاخذ بظواهر العبارات التي قالها المتقدمون بلا تنقيب عن ادلتهم التفصيليَّة ولو لمعرفة استخراج النتائج من مقدماتها ولا بحث عن اولئك المتقدمين هل هم من ائمتنا الراسخين في العلم الذين يطمئن القلب للأخذ باقوالهم ام هم من اولئك المبتدعين المتلبسين بلباس السنة الذين تعمدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بوضعهم الاحاديث . ولكن رغمًا عن هذا التأخر العلمي العام فان سماء عرفان الامة الاسلامية ما كانت تخلو من نجوم ثواقب تشرق بأنوار علمية على حالك الجهل السائد وتقاوم بما في طاقتها وتجاهد مجاهدة الابطال لاعادة حالة التدريس الى ما كانت عليهِ في ايام عزنا ومجدنا العلمي

هاتهِ هي أدوار التعليم في العالم الاسلامي أجمع من بداية ظهورهِ لليوم وهي هي بنفسها التي مرت على الازهر في ادوار مختلفة

ذكر المقريزي " ان اول ما دُرس في الازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة فانهُ في شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس عليُّ بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر

---

(١) انظر كتابات الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذا الموضوع

(٢) راجع كتاب كشف الظنون

وأملى مختصر ابيهِ في الفقه عن اهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعاً عظيماً واثبت اسماء الحاضرين"

واعتنى الخلفاء الفاطميون كثيراً بنشر مذهبهم باغداق نعمهم على المشتغلين بهِ من العلماء والطلبة. ذكر المقريزي: "ان الوزير يعقوب بن كلس لما تولى الوزارة في ايام الخليفة العزيز بالله رتب في دارهِ العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء المتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق والف كتاباً في الفقه يتضمن ما سمعهُ من المعز لدين الله ومن ابنهِ العزيز بالله وهو مبوَّب على ابواب الفقه يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ونصب لهُ مجلساً في يوم الثلاثاء يجتمع فيهِ الفقهاء وجماعة ون المتكلمين واهل الجدل واجرى الارزاق وكان يجلس ايضاً في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاتهِ على الناس بنفسهِ واجرى الخليفة العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونهُ ارزاقاً تكفيهم في كل شهر وامر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيهِ بعد الصلاة الى ان تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير ايضاً صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلاً وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال". فساد المذهب الفاطمي على مذهبي اهل السنة اللذين كانا منتشرين في مصر قبل الفتح الفاطمي (وهما المذهب الشافعي والمالكي) وصار هو المذهب المعمول بهِ في القضاء والفتيا وانكر ما خالفهُ ولم يبقَ ظاهراً مذهب سواهُ. ذكر المقريزي: "في سنة ٣٨١ هـ ضُرب رجل بمصر وطيف بهِ في المدينة من اجل انهُ وجد عندهُ كتاب الموطإ لمالك بن انس رحمهُ الله"

وبقي الازهر منبتاً للفقه الفاطمي الى ان بني الجامع الحاكمي في سنة ٣٨٠ هـ فتحاق فيهِ حينئذٍ الفقهاء الذين يتحلقون في الجامع الازهر

وبقي مذهب الشيعة منتشراً في مصر قضاءً وفي الازهر دراسة الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ فعادت لمصر حينئذٍ السنة المحمدية واول مذهب سني درس بالازهر المذهب الشافعي وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعي ولم يبقَ لهُ بالازهر من اثر سوى الجراية من الخبز تعطى لمن هو متمذهب بهِ وهذه الجراية تصرف الى يومنا هذا وقلل عددها شيئاً فشيئاً حتى صارت الآن تسعة ارغفة في اليوم تعطى لطالب من الذين يقرأُون المذهب الفاطمي الآن بمصر بمدرسة صغيرة خاصة بهم

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية ان تلك العلوم لا بد وان تكون قد درست في الازهر في زمانهم اذ يبعد على من كانت مكتبتهم محتوية على مائة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب وعلى كرتين سماويتين احداهما من الفضة

يقال ان صانعها بطليموس نفسهُ وانهُ انفق عليها ثلاثة آلاف دينار وعلى خرط جغرافية ثمينة كالتي ذكرها المقريزي بقولهِ : ” دخل هذه المكتبة (مكتبة الفاطميين) احد السياح فرأى فيها مقطعاً من الحرير الازرق غريب الصنعة فيهِ صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة اسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير ” ان لا يقرأوا تلك العلوم الفلكية والرياضية والجغرافية والطبية بأزهرهم

ولما انقرضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على ملك مصر شرع في تغيير الدولة الفاطمية وازالتها وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية واخرى للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وابطل الخطبة والتدريس من الجامع الازهر رغبة منهُ في ازالة كل اثر للفاطميين

وبقيت الدراسة معطلة في الازهر الى زمن الملك السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة فلما تولى ملك مصر في سنة ٨٦٥ ه أعاد الى الازهر حياتهُ العلمية والدينية بسعي احد امراء دولتهِ وهو الامير عز الدين ايدمر الحلي وذلك ان الامير المذكور جاور الازهر بالسكنى فراعى حرمة الجوار وانتزع لهُ اشياء كانت مغصوبة واطلق لهُ من السلطان جملةً من المال وعمَّر الواهي من أركانهِ وجدرانهِ واصلح سقوفهُ وبلطهُ وفرشهُ حتى عاد جديدًا بعد ما كان باليًا

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص وتسابقت همم العلماء في اتقان آلاتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة فنبغ حينئذ بمصر ائمة اعلام يفتخر بهم اليوم العالم الاسلامي أجمع كالامام عز الدين بن عبد السلام والامام السبكي وابنائهِ ، والشهاب القرافي . وابن هشام . والسراج البلقيني . وجلال الدين السيوطي وغيرهِ من المصريين . وابرهيم بن عيسى الاندلسي . وعز الدين عمر بن عبد الله عمر القدسي . والامام الاصبهاني . والامام الزيلعي . وابن الحاج محمد العبدري الفاسي وابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي . وتاج الدين التبريزي . والحافظ العراقي . والحافظ بن حجر العسقلاني . وعلاء الدين الحموي . والرضى الشاطبي . ومحمد بن محمد البغدادي . وشيخ الاسلام زكريا الانصاري . وقاسم ابن محمد التونسي . وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصي الارض لمصر لتعلم العلم في ازهرها

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضاً ولكن المشتغلين بها نزر من الطلبة

وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئًا فشيئًا الى الازهر كما تسرب الى غيرهِ من الجوامع الاسلامية الاخرى حتى تركت هذه العلوم من الازهر شيئًا فشيئًا قال الجبرتي: ” كان

الوزير احمد باشا كور المتولي على مصر في سنة ١١٦١ ﻫ من أرباب الفضائل ولهُ رغبة في العلوم الرياضية فلما استقرّ بقلعة مصر قابل صدور العلماء منهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الازهر فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا: "لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت وكان للشبراوي وظيفة الخطابة بجامع السراية فكان يطلع يوم الجمعة ويدخل عند الباشا فقال لهُ الباشا: المسموع عندنا بالديار التركية ان مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق الى المجيء اليها فلما جئتها وجدتها كما قيل تسمع بالمعيدي خير من ان تراهُ . فقال لهُ الشيخ: يا مولاي هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف فقال واين هي وانتم اعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ونبذتم المقاصد فقال الشيخ: نحن لسنا اعظم علمائها وانما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم واغلب اهل الازهر لا يشتغلون بالرياضيات الّا بقدر الحاجة الموصلة لعلم المواريث كالحساب والغبار"

فبقيت تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية الفلسفية مهجورة من الازهر ينظر اليها بنظر السخط ويفر من سماعها فرار الصحيح من الاجرب حتى قال المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية في الحكومة المصرية في خططهِ ما نصهُ "وينهى اهل الازهر من يقرأ كتب الفلسفة ويشنون عليهِ الغارة وربما نسبوهُ للكفر"

ولكن بفضل الله وكرمهِ لم يطل الامر على ذلك كثيرًا حتى قيض الله لنا من امرائنا الكرام ووزرائنا الفخام وعلمائنا الاعلام من تنبه لاسباب تأخرنا العلمي وأخذوا في السعي لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للملكة الذهنية ولخشية المفاجأة باعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ في أذهان الكثيرين ان بها ما يعدو على الدين رأى ولاة الامور ان يمهدوا السبيل لادخالها في الجامع الازهر بأخذ آراء افاضل العلماء الازهريين فكلفوا والدي المرحوم السيد محمد بيرم (٢) بهاتهِ المهمة العلمية . وبعد اخذ وعطاء بينهُ وبين المرحوم العلامة الشيخ محمد الانبابي شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الازهر والعلامة الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد استقرّ الرأي ان يكتب لهما استفتاء صورتهُ: "بعد الديباجة . ما قولكم رضي الله عنكم هل يجوز تعلُّم المسلمين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنهُ بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لاسيما ما ينبني عليهِ منها زيادة القوّة في الامة بمجاري بهِ الامم المعاصرين لها في كل ما يشملهُ الامر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الامة بمعنى ان يكون واجبًا وجوبًا كفائيًا على نحو التفصيل

---

(٢) من كبار مدرسي جامع الزيتونة ومدير عموم الاوقاف التونسية وقاضي محكمة مصر

الذي ذكرهُ فيها الامام حجة الاسلام الغزالي في احياء العلوم ونقلهُ علماء الحنفية ايضاً واقروهُ. واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيرهِ الرائجة الآن بالجامع الازهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها افيدوا الجواب لا زلتم مقصداً لاولي الالباب ” فاجابهُ العلامة الشيخ محمد الانبابي بالفتوى الآتية : “ بعد الديباجة . يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافية لانهُ لا تعرُّض فيها لشيء من الامور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليهِ مصلحة دينية او دنيوية وجوباً كفائيًّا كما يجب علم الطب لذلك كما افادهُ الغزاليُّ في مواضع من الاحياء وان ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل بهِ زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمهُ فضيلة . ولا يدخل في علم الهيئة الباحث عن اشكال الافلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم احكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكيَّة على الحوادث السفلية فانهُ حرام كما قال الغزالي وعلل ذلك بما محصلهُ انهُ يخشى من ممارستهِ نسبة التأثير للكواكب والتعرض للاخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطئ لخفاء بعض الشروط او الاسباب عليهِ لدقتها

واما الطبيعيَّات وهي الباحثة عن صفات الاجسام وخواصها وكيفيَّة استحالتها وتغييرها كما في الاحياء في الباب الثاني من كتاب العلم فان كان ذلك البحث على طريق اهل الشرع فلا منع منها كما افادهُ العلاَّمة شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذٍ اهمية بحسب اهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن في علم الطب وكمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح العباد . وان كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لانهُ يؤدي للوقوع في العقائد المخالفة للشرع كما افادهُ العلامة المذكور . نعم يظهر تجويزهُ لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليهِ مما ذكر قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيهِ من اقوال ثلاثة : ثانيها الجواز مطلقاً ونسبهُ الملوي في شرح السلم للجمهور : ثالثها المنع مطلقاً ونسبهُ صاحب السلم لابن الصلاح والنووي . قال الملوي ووافقهما على ذلك كثير من العلماء ولما كان الامام النووي ممن يقول في المنطق بالمنع مطلقاً مشى على نظير ذلك في الطبيعة . فعدَّ في كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون ان يفصل . لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمدهُ هنا اذ لا فرق بذلك فان مظنة الضرر والنفع موجودة في كل منهما والظاهر ان موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة اذ غيرهُ لا محظور فيهِ اتفاقاً كالمنطق الخالص كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة

واما علم تركيب الاجزاء المعبر عنهُ بالكيمياء فان كان المراد بهِ مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منهُ على العقيدة الاسلامية فلا بأس بهِ بل لهُ اهمية حسب ثمرتهِ والاَّ جرت فيهِ الاقوال الثلاثة المتقدمة . واما العلم المعروف بعلم جابر ويسمى ايضاً علم الصنعة وعلم الكاف وهو الذي ينصرف اليهِ علم الكيمياء عند غالب الناس فقد افاد العلامة ابن حجر في شرحهِ على المنهاج انهُ ان قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقتهِ وكان العلم الموصل لذلك يقينيًّا جاز تعلمهُ والعمل بهِ والاَّ حرم ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون بهِ فيما رأينا الاَّ على ضياع الاموال وتشتت البال وتغيير الاحوال

فعلم ان العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأُ علوم الآلات وكذا الطبيعيَّات وعلم تركيب الاجزاء حيث كانت تقرأُ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج اليهِ في الحجاج عن العقائد الدينيَّة والله سبحانهُ وتعالى اعلم "

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى الرسميَّة الآتية نمرة ١٧١ " ما افادهُ حضرة الاستاذ شيخ الاسلام موافق لمذهبنا وما استظهرهُ من ان الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة ايضاً وجيه والله سبحانهُ وتعالى اعلم "

ولم يتقرَّر رسميًّا ادخال بعض هاتهِ العلوم الاَّ في عصر سمو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الحالي أيد الله بهِ الاسلام فقد أصدر امرهُ العالي المؤَرخ في ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ ه بتدريس بعض تلك العلوم في الازهر

فاصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الازهر الآن شاملةً للعلوم الدينيَّة وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الازهر كتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء قولاً وكتابةً واللغة متناً وادباً ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان

ولتنشيط الطلبة وحثهم على الاجتهاد في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً بالجامع الازهر اوجد اولو الحل والعقد بسعي افاضل المعتنين بهذا الجامع ونخص منهم بالذكر العلامة الغيور الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً مبلغاً ماليًّا قدرهُ ستمائة جنيه سنويًّا يعطى مكافأة للنابغين في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً فعظمت بذلك عنايتهم ونمت رغبتهم وابدوا من البراعة في تلك العلوم على قلة الزمن وحداثة العهد ما انبأ عن فرط ذكائهم وعظيم جدهم ولما اتضحت لهم فائدة تلك العلوم اقبلوا عليها اقبال العطاش على صافي الماء لا حبًّا بالمكافأة المالية بل رغبة في التحلي بالفوائد العلمية

متحف الاسكندرية ومكتبتها

اطلعنا في " الادجبشن غازت " على مقالة شائقة عن متحف الاسكندرية ومكتبتها الاولى من قلم عضو من اعضاء جمعية الآثار والعاديات فى الاسكندرية وهي تشهد لغزارة علم الكاتب وسعة اطلاعهِ ودقة بحثهِ فرأَينا ان نعربها وننشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفوائد الجزيلة قال :—

يعلم ادباء الاسكندرية ان متحفها ومكتبتها الاولى التي أُسسها بطليموس سوتر (٣٢٢— ٢٨٤ ق . م) بايعاز ارسطو ونظمها ابنهُ فلادلفوس (٢٨٤ — ٢٤٦ ق . م) كانا سبب فخرها ومجدها ايام كانت مركز العلوم والآداب . ولم يكن متحفها مكانًا لمجرد جمع الآثار القديمة كما هو عليهِ الآن بل كان اشبه بمدرسة كلية رئيسها كاهن ينتخبهُ الملك واوقافها كثيرة تدفع من ريعها رواتب اساتذتها . وكان حول المتحف اراضٍ فسيحة فيها حديقة عمومية والمقاعد مبثوثة في جوانبها والتلامذة يدرسون على معلميهم الشعر والرياضيات والفلك والطب

قال شارب في كتابهِ تاريخ مصر " وكان يؤُمُّ هذا المتحف عدد كبير من الفلاسفة والمصورين والنقاشين والشعراء والمؤرخين وفحول الرياضيين حتى اصبح من ازهى معاهد العلم وازهرها في ذلك الزمن . ومن حسن حظ الاسكندرية حينئذٍ ان ملوكها كانوا يحبون العلم ويجلُّون قدر العلماء " . وكان في المكتبة ٤٠٠٠٠٠ سفرٍ ودرجٍ . وقد ترجمت التوراة الى اليونانية وكتب تاريخ مصر باليونانية كتبهُ الكاهن مانثو بامر بطليموس فلادلفوس ليوضعا في تلك المكتبة

وكان العالم الخطيب ديمتريوس فاليريوس الاثينوي مديرًا اول للمكتبة ثم خلفهُ الشاعر زنودوتس الافسسي وهو اول من جمع قصائد هوميروس ونشرها .وكان اقليدس ابو الهندسة رئيس القسم الرياضي في عهد بطليموس الاول . ولما سأَلهُ بطليموس سوتر عن طريقة سهلة لتعلم الهندسة اجابهُ جوابهُ المشهور وهو قولهُ " ليس لها سكة سلطانية " ولعلهُ اشار بذلك الى عادة كانت جارية في بلاد فارس حينئذٍ وهي انهم كانوا ينشئون لملوكهم سككاً خصوصيةً محاذية للسكك العمومية . وكان كليما كس القيرواني استاذًا لشعر الرثاء والتأبين واراسستراتوس القوصي وهروفيتوس الخلكيدوني اول من علَّم التشريح في عهد بطليموس سوتر بل اول من استنبط صناعة التشريح العملي . وكان معلّم الفلك في عهد بطليموس فلادلفوس العالم

ارسترخس الساموسي وهو اول من قال بدوران الارض حول الشمس . وكان مدير مكتبة المتحف في عهد بطليموس يورجيتس الفلكيُّ اراتوستنيس الذي وضع خريطة السماء وهو اول من علَّم ان الارض كرة وبيَّن كيف يقاس حجمها ومحيطها . وكان ارخميدس اشهر قدماء الرياضيين قد ادخل لولبهُ (الطنبور) الى مصر لري ارضها ولا يزال فيها منذ ذلك العهد الى الآن (اكثر من ألفي سنة)

وخلف اراتوستنيس على ادارة المكتبة المهندس ابوثينيوس . وهو الذي شرح خواص الاشكال الاهليلجية والشلجمية والهذلولية . واكتشف هبارخوس ابو الفلك الرياضي والجغرافية في عهد بطليموس السادس مبادرة الاعتدالين واخترع اسطرلاباً قاس بهِ طول السنة فاذا هو ٣٦٥ يوماً وربع يوم

هؤُلاء بعض العلماء الذين عاشوا في عهد البطالسة الستة الأُول وكان اولئك البطالسة يقصدون المكتبة لكي يسمعوا خطب اولئك العلماء الاعلام ويستفيدوا منهم ويكونوا قدوة لشعبهم في طلب الفائدة

اما ما جرى بالاسفار والادراج التي كانت في المكتبة وعددها ٤٠٠ ألف او ٧٠٠ ألف فقد اختلفت الاقوال فيهِ واول من كتب عن ذلك الفيلسوف سنكا معلّم نيرون في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي اي بعد ما تلفت المكتبة بنحو مئة سنة فانهُ قال احترقت مكتبة الاسكندرية التي تحوي اربع مئة الف مجلَّد . وقال فلوطرخس في كتابهِ عن يوليوس قيصر بعد ذلك بسنوات قليلة ان قيصر كان يقاتل الجنود المصرية التي كانت بقيادة اخلاس ليحتلَّ مكاناً في حيّ القصر الملكي بالاسكندرية لان كليوباطرة فتنتهُ بمحاسنها بعد ما حملها ابولودورس اليهِ ملفوفة في بساط فاضطرَّ ان يضرم النار في سفنهِ التي في المرفإِ منعاً لوقوعها في يد الاعداء فاندلع لسان اللهب وامتدَّ الى القصر فأَحرق مكتبة الاسكندرية العظيمة

هذا ولم يذكر المؤَرخ الذي وصف احتراق السفن في حرب قيصر الاهلية شيئاً عن احتراق المكتبة ولا اشار سترابو الذي وصف الاسكندرية بعد ذلك باربع وعشرين سنة الى وجودها الاَّ اذا كان قد دمجها في المتحف الذي قال انهُ لم يمسَّهُ ضرٌّ . واغرب من ذلك ان شيشرون المشهور لم يقل كلمة عن تلك الخسارة العظيمة التي خسرها العلم والادب . على ان هذه كلها ادلة سلبية لا يعوَّل عليها في جنب الادلة الايجابيَّة التي عندنا غير قول فلوطرخس المذكور آنفاً منها ما قالهُ ديون كاسيوس (١٥٥ — ٢٢٩ ب . م) تأْييداً لقول فلوطرخس وهو " ان لسان اللهب امتدَّ كثيراً فأَحرق المرفأَ واهراءَ الحبوب ومخازن الكتب وغيرها ويقال

ان الكتب كانت كثيرة وثمينة ". ونشأ في القرن الرابع من التاريخ المسيحي جنديٌّ ومؤلف اسمهُ مارسلنوس فوصف مكتبة الاسكندرية بقولهِ " انها مكتبة ثمينة اتفق الكتَّاب الاقدمون على ان ما فيها من الاسفار والادراج التي جمعها البطالسة بعد طول الجهد والعناء وعددها ٧٠٠ الف مجلد ذهبت طعم النار في حرب الاسكندرية حين دمر قيصر المدينة ". وكتب بولس اوروسيوس في تاريخهِ الذي الفهُ نحو سنة ٤١٦ مسيحية يقول " صدرت الاوامر في غضون القتال باضرام النيران في الاسطول الملكي الذي كان راسياً قرب الشاطئ فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت ٤٠٠ الف كتاب كانت مخزونة في بناء قريب من مكان النار. فتلف بها ذلك الاثر العجيب المتضمن تاريخ نهضة اسلافنا الادبية الذين ابتدعوا تلك المجموعة العظيمة الجليلة وكانت دليلاً على سمو عقولهم "

فيمكن ان يستنتج من الروايات المتقدمة ان حرق المكتبة كان امرًا مسلَّماً بهِ عموماً من ايام فلوطرخس وليس هناك سبب كافٍ يحملنا على الشكّ فيهِ الآن

وهنا سؤَال آخر وهو هل احترقت ابنية المكتبة والمتحف ايضاً مثل محتوياتهما والاقوال متضاربة في ذلك . فقيصر يقول في اول تاريخ " حرب الاسكندرية " انهم لم يكونوا يستعملون الخشب في ابنية الاسكندرية وكانوا يصنعون سقوفها من الحجر بحيث كانت في مأمن من النار . ولكنهُ يقول فيما بعد انهُ لما احتاجت سفنهُ الى مجاذيف نزعت سقوف بعض الابنية العمومية وحوّل خشبها الى مجاذيف . والمرجح ان ابنية المتحف لم تتلف كلها بدليل ان سترابو يصفها ولا يعقل انها ترمَّم في مدة الاربع وعشرين سنة التي مرَّت منذ احتراقها ولا يشير سترابو اقلَّ اشارة الى هذا الامر. وان كانت المكتبة قسماً من المتحف فربما لم تحترق ايضاً

وقد قال الدكتور بطلر في كتابهِ الحديث " فتح مصر والاسكندرية " انهُ يكاد يكون من المؤكد ان بعض ابنية المتحف بقيت مستعملة الى ايام كركلاً القيصر الروماني الذي سفك الدماء في المدينة كالانهار (٢١٦ ب . م) وان القيصر اورليانوس دمَّر ابنية المتحف سنة ٢٧٣ ب . م واعمل سيف الدمار في حي بروشيوم قصاصاً لاهالي الاسكندرية على عصيانهم وقال غيرهُ غير ذلك

هذا من حيث المتحف وما اصابهُ واما من حيث موقعهُ وموقع المكتبة فقد قال الدكتور بطلر ايضاً في كتابهِ المشار اليهِ ما يأتي " اما عن ترتيب ابنية المتحف وموقع المكتبة فلا يعلم شيءٌ اكيد وكذلك لا يعلم اين كان موقع المتحف " ولكن احد مواطنينا كتب حديثاً في هذا الموضوع وجزم " بان المتحف كان قائماً في الشارع الذي هو فيهِ الآن اي شارع النبي دانيال

بازاء جامع سعيد باشا وجوار القنصلية الفرنسوية . وكانت المكتبة جنوبهُ . واول من عين موقعهُ محمود الفلكي "

فلننظر الآن في هذا القول لنرى ان كان صحيحاً فنقول

ورد في رسالة لمحمود الفلكي عنوانها " الاسكندرية القديمة " وهي التي نقل الدكتور بوتي مدير المتحف عنها في كتابهِ المسمَّى " رسم مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة " ما يأتي : —

" وجد حجر كالخزانة في حديقة القنصلية البروسيانية في المربع الواقع بين شارع النبي دانيال والشارع الذي يمرُّ امام محطة سكة الحديد المؤدية الى القاهرة وشارع رشيد وعليها كتابة مآلها ان فيها مؤلفات كاتب كان قبل عهد الاسكندر . فثبت بذلك ان المكتبة العظيمة كانت في تلك البقعة . وقد اكَّد لي العالم الدكتور بروغش قنصل بروسيا في القاهرة سابقاً صحة ذلك وقولهُ حجة عندي وعند جميع علماء الآثار والعاديات في اوربا "

وممَّا يقولهُ الدكتور بوتي انهُ فتش الاوراق التي سلمتها اليهِ ابنة المستر هرس فوجد فيها المذكرة الآتية " حجر من الغرانيت وجد في اراضي المسيو دي لورين بالاسكندرية سنة ١٨٤٧ " . وقد وصف الدكتور بوتي الحجر فقال انهُ مستطيل الشكل طولهُ ١٧ عقدة وربع عقدة وعرضهُ ١٥ عقدة ونصف عقدة وفيهِ حفرة مماثلة لهُ في شكلهِ طولها ١٠ عقد وعرضها ٨ عقد وعمقها ٣ عقد. وقد ظن انها كانت محتوية على ادراج من البرديّ (بابيرس) وعلى احد جوانبهِ الخارجية كتابة يونانية يقال فيها " مؤلفات ديوسقوريدس "

اما المربع الذي تقدم القول عنهُ ان المتحف والمكتبة كانا فيهِ فقد كان مرتفعاً من ١٥ قدماً الى ٢٠ قدماً عن مساواة الشوارع المجاورة لهُ عند اكتشاف الخزانة الحجرية المذكورة آنفاً . وبقي نحو اربعين سنة على تلك الحال ثم مهِّد عند بناء بورصة طوسن وذلك قبيل انشاء المتحف الحديث وجمعية الآثار القديمة في الاسكندرية . وكان موقع منزل لورين الذي كان قنصل بروسيا ساكناً فيهِ سنة ١٨٤٧ عند الطرف الجنوبي الشرقي من المرتفع المشار اليهِ ولعلهُ كان ملك الكافلير دي لورين قنصل النمسا حينئذٍ . اما الخزانة فلا يعلم ماذا جرى بها على عظم اهميتها لمجموعة الآثار اليونانية في متحفنا الجديد

امَّا كتَّاب اليونان الذين سُمُّوا باسم ديوسقوريدس فكثيرون ولكن الذي اشتهر منهم قبل عهد الاسكندرية هو ديوسقوريدس تلميذ ايسقراط الخطيب الاثينوي (٤٣٦ — ٣٣٨ ق . م) وزمانهُ يوافق افتراض الدكتور بروغش من ان ديوسقوريدس المنقوش اسمهُ على

الخزانة هو نفسهُ مؤلف الكتب التي كانت فيها · ولكن اذا صحَّ هذا الفرض وهو ما لا أخالهُ صحيحاً كان تعيين موقع اثر مشهور مثل مكتبة الاسكندرية بناءً على اكتشاف خزانة فارغة حجة واهية ضعيفة

ومما يجب ذكرهُ ان بُعد بورصة طوسن والحمراء والقنصلية الفرنسوية (المتضمنة في مربع محمود الفلكي) عن المرفإ التجاري قرب الطرف الشرقي من ميدان محمد علي يزيد على ست مئة متر .وهذه المسافة تقتضي ناراً عظيمة مثل التي شبت سنة ١٨٨٢ فاحرقت الميدان المذكور وابنية شارع شريف باشا حتى تصل من المرفإ الى بورصة طوسن وغيرها من الابنية الواقعة ضمن المربع المذكور

على ان مؤرخ حرب قيصر الاهلية يخبرنا ان المكان الذي احتلهُ قيصر اولاً من القصر الملكي كان متصلاً بالمشهد والمرفإ . فلو فرضنا أن موقع المتحف والمكتبة كان بين حيّ اليونان الحالي والبحر وموقع المشهد محل عمود فكتوريا الحالي سهل علينا اذ ذاك ان ندرك كيف يمكن ان تحترق المكتبة باتصال النار اليها من المرفإ

ثم استطرد الكاتب الى القول الشائع وهو ان مكتبة السرابيوم الملقبة بابنة المكتبة الاولى اخذها انطونيوس من برغاموس واهداها الى كليوباطرة فوضعتها في هيكل السرابيوم حيث عمود السواري الآن فبيَّن ضعف هذا القول وضعف السند الذي بني عليهِ وهذا السند هو قول فلوطرخس لكن فلوطرخس لا يقول ان انطونيوس فعل ذلك بل ان كاڤيسوس اتهمهُ بهِ لكي يحقرهُ عند اهل رومية . اما الكتَّاب الذين كتبوا في ذلك العهد وبعدهُ فلا يشيرون اقل اشارة الى ان مكتبة برغاموس نقلت الى الاسكندرية . وقد كتب استرابون بعد تاريخ النقل المزعوم بعشر سنوات وقال ان خزائن برغاموس وذخائرها كانت لا تزال فيها

هذا وقد وعد الكاتب باستطراد الكلام الى مكتبة السرابيوم وما حلَّ بها وهي المكتبة التي وقع الجدال في شأنها لما اوردهُ عنها عبد اللطيف البغدادي وابو الفرج الملطي من ان عمرو بن العاص حرقها بامر الخليفة عمر بن الخطاب وقام الباحثون المحدثون ونفوا ذلك بادلة نقليَّة وعقليَّة . وقد اشرنا قبلاً الى ما يرتئيهِ الدكتور بطلر احدث الباحثين في هذا الموضوع وهو ان مكتبة السرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح لكن الكاتب لا يميل الى هذا الرأي على ما يظهر وسنرى ما يقولهُ في هذا الموضوع اما ما قالهُ الذين جاؤوا قبل الدكتور بطلر فمتداول ووارد كلهُ في مقالة الدكتور بطلر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحرُّ واسهال الاطفال

جاء الحرُّ وزهقت الاجسام منهُ وخصوصاً اجسام الاطفال فانهُ يسبب لهم اسهالاً ولبعضهم اسهالاً وقيئاً . والانكليز والاميركيون يسمون هذا النوع من الاسهال مرض الحرّ وهو يؤَثر في الجهاز الهضمي اي في المعدة والامعاء واذا اصاب الاطفال سُمّي هيضة الاطفال ثم ان الحرّ يسبب عرقاً غزيراً ينشأُ عنهُ ضعف في الجسم عموماً وفي الهضم خصوصاً بسبب ارتفاع درجة الحرارة ويساعد على تكون المكروبات في الالبان قبل شربها وبعدهُ فتختمر ويحدث الاسهال كما ذكرنا . وليست الهيضة المرض الوحيد الذي يصيب الاطفال في الصيف بل ان امراضاً اخرى تصيبهم بدليل كثرة الوفيات منهم في فصل الصيف بالنسبة الى الفصول الاخرى في مصر وفي غيرها

فبناء على ما تقدم يجب على المراضع والامهات ان ينتبهنَ لتكون درجة حرارة اطفالهنَّ معتدلة ويتجنبن اطعامهم الاطعمة غير المغذية وسقيهم المشروبات المضرة ويحافظن على نظافة ابدانهم وملابسهم ويزلنَ من اذهانهنَّ الوهم الشائع وهو انهُ لا يجوز غسل الاطفال المرضى او الذين مرض احد والديهم بالزهري بدعوى ان الغسل بالماء يحدث المرض المذكور فيهم . ويجب عليهنَّ ايضاً ان لا ينمن مع اطفالهنَّ في فراش واحد ولا يعطينهم شيئاً من السفوف العسر الهضم المؤَلف من دقيق وسمن . ويمتنعن عن الارضاع المتكرّر فيرضع الطفل مرة كلَّ ساعتين او ثلاث . ويجب ان تكون المرضع جيدة الصحة لتكون جيدة اللبن غير حامل . ولبن الام السليمة البنية الغزيرة اللبن خير من لبن المرضع . اما مدة الارضاع فاقلها سنة واكثرها سنتان . ويجب ان يفطم الطفل في اوائل فصل الشتاء لا في فصل الحرّ . ويستعان عند الفطام بالغذاء اللبني

شروط الارضاع الصناعي

يؤخذ اللبن لارضاع الطفل من بقرة واحدة حسنة الصحة خالية من المرض فيرضع مرة

كل ساعتين او ثلاث كما تقدم ويلزم اغلاء اللبن في اناء من فخار او صفيح نظيف ويحفظ في اناء من الصيني او الزجاج من الصباح الى المساء ومن المساء الى آخر الليل وهكذا. وكيفية ارضاع الطفل منهُ هي ان تؤْخذ كمية من اللبن المذكور ويضاف اليها قدر ربعها من الماء القراح المغلي وذلك لكي تصير حرارة اللبن مثل حرارة اللبن الطبيعي لان البارد يحدث اسهالاً في بعض الاحيان ويكون ثقيلاً على معدة الطفل اذا لم يمزج بقليل من الماء . ثم يناول الطفل منهُ اما بملعقة صغيرة او بالفنجان نفسهِ واذا بقي شيءٌ في الفنجان بعد شرب الطفل منهُ فلا يضف الى اللبن الاصلي . او تستعمل الرضاعة على شرط ان تنظف كلَّ مرة بماء مغلي

الفطام

متى بلغ الطفل سنة ونصفًا او سنتين من العمر يفطم فيعطى طعامًا لبنيًّا مع قليل من الخبز او البسكت مدة شهر او شهرين وبعد ذلك يؤْخذ في اعطائهِ المرق والسوائل النباتية المؤلفة من ماءٍ نقيٍّ واغذية نباتية مثل الشعير والارز والعدس المدشوش والبقول وغيرها ثم البطاطس الخ

الدكتور حسن باشا محمود

تربية البنات الجسدية

فرق اهل العربيَّة بين الحسن والجمال فقالوا ان الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضائهِ . وسواءٌ صحَّ ذلك او لم يصحَّ فان في اعتدال القوام جمالاً غير ما يكون في لون الوجه وتناسب الاعضاء وهذا الاعتدال هو المقصود في هذه المقالة . ولا تستطيع كل امرأة ان تكون بيضاء الوجه دقيقة الانف صغيرة الفم واسعة العينين ولكن كل امرأة تستطيع ان تكون منتصبة القامة معتدلة القوام اذا تربَّت على ذلك من صغرها . والرجال يفضلون اعتدال القوام على حسن الوجه وهم مصيبون في ذلك لان اعتدال القوام يدل على جودة الصحَّة . وجودة الصحة ترافقها سلاسة الطبع غالبًا

ولا تعتدل قامة المرأة الاَّ اذا رُبيت البنت تربية صحيَّة من صغرها فاذا ربيت في بيوت الفلاحين وخرجت مع امها تستقي الماء وتحمل جرتها على رأْسها ونامت حالما يظلم الليل وقامت قبل الفجر واكلت الطعام البسيط الساذج فتلك المعيشة كافية لتنمي جسمها وتعدِل قوامها ولذلك تجد اكثر بنات الفلاحين منتصبات القامة معتدلات القوام كأنهنَّ تماثيل الاهات الجمال ولولا قذَرهنَّ وقلة اعتنائهن بوجوههنَّ وايديهنَّ لناظرن اجمل الجميلات . واما بنات المدن اللواتي يقصر والدوهنَّ همهم على تعليمهنَّ القراءة والكتابة ولغةً او لغتين غير ناظرين

الى تربية اجسامهنَّ واعتدال قوامهنَّ فتراهنَّ جالسات في المدارس امام مكاتبهنَّ محدودبات الظهر مطرقات الرأس خوصاوات العيون

وقد وضعت احدى السيدات القواعد التالية لتربية بنات المدن وهي

اولاً ان ينتبه الى صحة البنات فان كنَّ نحيفات ضعيفات لا يسمح لهنَّ ان يلعبن العاباً عنيفة شاقة مثل اخوتهنَّ

ثانياً ان يمنعنَ عن رفع الاجسام الثقيلة لان العنف الشديد قد يصدع بعض عضلاتهنَّ او اعضائهنَّ الباطنة صدعاً لا يظهر للعيان كصدع اليد والرجل ولكن يبقى تاثيرهُ في الجسم مدى الحياة

ثالثاً ان لا تروِّض البنت بعض اعضائها وتترك البعض الآخر من غير ترويض فينمو بعضها على نفقة البعض الآخر

رابعاً ان تمنع من الوقوف والجلوس منخنية الظهر منخفضة الرأس فيصير يتعذَّر عليها الانتصاب. وتمنع ايضاً من الجلوس امام النار او في زاوية البيت قافَّة مجتمعة بعضها على بعض كما يفعل البنات عادةً اذا بردن

خامساً ان لا تلبس حذاء ضيقاً اوعالي الكعب . وخير لها ان تمشي حافية دائماً من ان تلبس حذاء ضيقاً او عالي الكعب

سادساً ان تُحَثّ على المشي في الهواء النقي والمشي البطيء لا يكفي ولا يفيد ولا بدَّ من المشي السريع والركض وتزيد فائدة المشي في الاماكن المطلقة الهواء كالرياض والبساتين والمروج اذا انتبه البنات الى ما يرين فيها من انواع الطيور والنباتات والحشرات وتسابقنَ عدواً

سابعاً ان تحث على الانتباه الى جسمها وقامتها حتى يصير ذلك ملكة فيها فلا تعود تنحني الاَّ وهي تشعر انها انحنت ويجب ان تنتصب حالاً

ثامناً ان تدرَّب على التنفُّس من انفها لا من فمها لان الهواء الذي يدخل من الانف يتنقَّى في طريقهِ من جراثيم الفساد واما الهواء الذي يدخل من الفم فلا يتنقَّى

تاسعاً ان ترغَّب في انواع الرياضة التي تزيد التنفُّس فيتسع صدرها وتنتصب قامتها ويعتدل قوامها ويتمُّ لها ذلك اذا وقفت منتصبة كل يوم واطبقت فمها وتنفست من انفها مدة ما تعدُّ عشرين ثم ضبطت نفسها ست ثواني وكرَّرت ذلك مراراً مدة ست دقائق فانهُ لا يمضي عليها شهر حتى ترى فرقاً كبيراً في اتساع صدرها

عاشراً ان تُرَغَّب في الرياضة التي تقوي عضلات صدرها وبطنها وحقويها ورجليها اما

عضلات الصدر فتقوَّى بمسك قضيب من الحديد باليدين واليدان وراء الظهر ممدوتان على طولها وعضلات البطن تقوَّى بالانحناء الى اليمين ثم الى اليسار. وعضلات الحقوين والفخذين والرجلين تقوَّى بحني الظهر ولمّ شيءٍ خفيف عن الارض من غير ان تحنى الركبتان فاذا مارست البنت ذلك مدة تقوَّت عضلات جسمها وانتصبت قامتها

ثم اذا تهذب عقلها بدت عليها مخايل الذكاء مع اعتدال القوام فزادتها جمالاً

تمريض المرضى

الفصل الثالث

امراض الجهاز العصبي . الفالج

اصدق وصف ينطبق على الجهاز العصبي هو انهُ يشبه راس اللفت فاللبُّ بمثابة الدماغ والجذور بمثابة الاعصاب التي تمتدُّ الى الظهر اي الحبل الشوكي والجذور الرفيعة التي تتفرع الى الذراعين والرجلين . فقد يتفق ان يعتلّ الدماغ وفروعهُ كلها وهو ما يسمونهُ بالفالج العام . واحيانًا يعتلُّ نصف الجسم الايمن ويفقد الانسان قوة النطق وهذا يسمونهُ الفالج النصفي . او ان الرجلين تعتلان وهذا يسمى الفالج السفلي ومهما يكن نوع الفالج فهو من اعسر الامراض معالجة فان معالجتهُ تقتضي صبرًا كثيرًا وطول اناة . وهو لا يأتي فجأة بل ان صاحبهُ يفقد تدريجًا صحتهُ ويقاسي فقد الاحساس . ولكن الذي ياتي فجأة قروح تصيب الجسم لاسيما اذا كان المريض لا يستطيع ضبط مبرزاتهِ ويسمونها قروح الفراش . ففي معظم الامراض يمكن اجتناب هذه القروح اما في الفالج فان ذلك يستحيل غالبًا ولكن يجب مضاعفة العناية بالمريض لمنع ظهور القروح ولذلك يجب اولاً ان يبقى جسمهُ نظيفًا وجافًا . وثانيًا ان يمنع من النوم على جانب واحد فقط . وثالثًا ان يكون فراشهُ خاليًا من النتوءات وان يغسل وركاهُ صباحًا ومساءً بالصابون وان يفرك جلدهُ بالسبيرتو ثم بمذوب الحامض البوريك واخيرًا ان ترش البودرة على ظهرهِ ويفرك جيدًا براحة اليد

ومما يريح المفلوج كثيرًا ان يقلب من جنب الى جنب لاسيما اذا كان تحت كتفيهِ مسندٌ يسندهما وان يوضع تحتهُ كيس من الكاوتشوك المملوء بالماء ويمكن وضعهُ تحت كتفيهِ ايضًا لتخفيف الضغط لان القروح قد تظهر على الكتفين حتى المرفقين ايضًا

وليكن سرير المريض بعيدًا عن الحائط بحيث يستطيع الشخص الذي يعتني بهِ ان يدور حولهُ بسهولة . ويقتضي لقلبهِ من جانب الى جانب شخصان . ويخيَّل لمن يتولى ذلك ان

المفلوج ثقيل جدًّا لما في تحريكهِ وقلبهِ من الصعوبة . اما طريقة قلبهِ فهي ان يضع شخص يدًا من يديهِ تحت وركي المريض والاخرى تحت كتفيهِ وان يضع الشخص الاخر يديهِ تحت يدي الاول ثم يرفعا المريض معًا ويقلباهُ على الجنب الآخر ويفركا جلدهُ بالسبيرتو او بمرهم وبودره فاذا كان الجلد مشققاً والقروح قد بدأت تظهر فلا يستعمل سوى المرهم البسيط وذلك ان يوضع منهُ على خرقة ناعمة بقدر القرحة ثم توضع الخرقة عليها ويوضع فوقها قليل من القطن المندوف وتثبت في مكانها بقطعة من المشمع

واذا كان المريض لا يستطيع ضبط بولهِ يلزم ان توضع تحتهُ قطعة من المشمع ويجب ان تكون ناعمة خالية من الطيات . وقد يحدث انهُ لا يستطيع ضبط مبرزاتهِ ايضاً فيلزم حينئذٍ ان يحقن يومًا بعد يوم . وطريقة ذلك ان يذاب بعض الصابون في ماءٍ حارٍ ويوضع في الماء ملعقة من الزيت . واذا كان معهُ قبض شديد يجب ان يضاف الى المزيج ملعقة من التربنتينا . ثم يقلب على جنبهِ ويوضع المشمع تحتهُ . ويدهن رأس الحقنة بالفاسلين ويفرغ الهواء منها ثم يحقن المريض على مهلٍ

داء السكتة

يصيب هذا الداء صاحبهُ فجأة على الغالب بعد ما يشعر بانزعاج بسيط قبل ذلك بايام قليلة فيفقد الشعور وقوة التسلط على اطرافهِ ويصير تنفسهُ عسرًا مصحوبًا بصوت ويزرقُّ وجههُ وتدركهُ الحمّى . وسبب ذلك وجود جلطة دموية في الدماغ او اصابة الظهر بآفة على اثر صدمة او سقطة

والعلاج لذلك ان يوضع المصاب في الفراش وينقطع عن كلّ حركة ويعطى طعامًا سائلاً فقط . وتتبع جميع الوصايا المتقدم ذكرها في الفصل الماضي وخصوصًا ما تعلق منها بقروح الفراش

الصرع او داء النقطة

الصرع عكس الفالج والسكتة فبدلاً من ان يفقد المصاب بهِ قوتهُ وسهولة حركتهِ يصير ذا حركات شديدة غير ارادية تسمَّى تشنجات . ويصيح صيحة قوية ويجمع اصابعهُ فوق ابهاميهِ وتجتمع الرغوة على فمهِ ويضرب بيديهِ ورأسهِ وسائر جسمهِ ويعضُّ لسانهُ

واول ما يجب عملهُ ان يمنع المصاب من الحاق الاذى بنفسهِ . ويلقى على ظهرهِ وتوضع فلينة او منديل بين اسنانهِ حتى لا يعضُّ لسانهُ وتحلُّ عرى قميصهِ وطوقهِ ويمنع من الاصطدام بالاشياء التي حولهُ . وليلاحظ كم تدوم النوبة التي تنتابهُ ويخبر الطبيب بذلك

ويجب ان تكون امعاء المصاب لينةً وان يكثر من الرياضة في الخلاء ويتجنب كلَّ ما

يقلق بالهُ ويشغل خاطرهُ والَّا ساء خلقهُ جداً . ومما يحزن ذكرهُ ان المصاب بالنقطة يحبُّ الاضرار بغيرهِ وهو كثير الخداع والكذب ويودُّ ان يظهر بمظهر الصلاح والتقوى امام الناس فيجب ان تعدَّ اعمالهُ هذه جزءًا من مرضهِ ويعامل بالتؤدة والصبر

التهاب اغشية الدماغ

هذا المرض يصيب الاطفال على الغالب ولكنهُ يصيب البالغين ايضاً . وقد يصير وافداً في بعض البلدان . واعراضهُ اكثر ظهورًا في الاولاد منها في غيرهم . فيشعر الولد بضعف وانحطاط قبل ظهور المرض . ومتى ظهر فاول اعراضهِ القيءُ والم شديد في الراس وتقلُّص البطن وارتفاعهُ ثم يأخذ الولد يصيح ويهزُّ راسهُ ولا يعود يحتمل سماع الاصوات ولا رؤْية النور . وفي اول درجات المرض تشتدُّ الحمى ثم يعقبها سبات وتشنجات وتصير العينان ثقيلتين جامدتين

اما العلاج الاعتيادي فهو ان يوضع الولد المصاب في غرفة مظلمة بعيدة عن النور والصوت ويضجع على ظهرهِ وتوضع مخدة واطئة تحت رأسهِ ويطعم طعامًا سائلاً مقويًا

واذا اشار الطبيب بوضع كيس جليد على رأسهِ فليكسر الجليد قطعًا صغيرة وتغسل حتى تذوب النتوءات التي فيها ويفرغ الهواءُ من الكيس حتى يباشر الراس جيدًا ويوضع منديل تحتهُ ليمتصَّ الرطوبة ويمنع ابتلال المخدة . وليطعم المريض وهو مستلقٍ علي ظهرهِ بواسطة فنجان خاصّ معدٍّ لذلك . وما يقال في معالجة الاطفال يقال في معالجة البالغين ايضاً

النفرالجيا والشياتكا

النفرالجيا الم في الاعصاب نفسها . وهي اما ان تكون في الوجه او في الذراعين او في غيرها فتسمى دائمًا نفرالجيا الَّا اذا اصابت العصب الكبير الذي يمتد من الظهر الى الفخذين فالركبتين وهو المسمى العصب الوركي او عرق النسا فتسمى حينئذٍ شياتكا . اما الالم فشديد الى الدرجة القصوى ولكن لما لم يكن هناك علامات ظاهرة تدل على وجود المرض فالغالب ان المريض قلما يجد بين اهلهِ واصحابهِ من يرثي لهُ . وهذا المرض يفاجئُ الجسم اذا كان ضعيفاً او منهوكًا بالعمل الشاق والهموم العقلية . وعليهِ فاحسن علاج هو تغيير الهواء والراحة واعطاءُ المقويات . وعند حدوث الالم يجب وضع الاشياء الحارة على مكانهِ مثل الفلانلا المسخنة واللزقات وغيرها والحقن بالمورفين وهذا الاخير منوط بالطبيب فقط

وكثيرًا ما يشتكي الناس من الم في الوجه عند ما تؤلمهم اضراسهم . والم الضرس عبارة عن تعرض اعصاب الضرس للهواء بسبب "تسوُّس" مادتهِ وحينئذٍ فالامر من متعلقات طبيب الاسنان

الجنون

الجنون مرض الدماغ والجهاز العصبي وهو مثل سائر الامراض اما ان يكون وراثيًّا او اكتسابيًّا حادًّا او مزمنًا بطيئًا او فجائيًّا ناشئًا عن خوف او حزن او فرح

وفي اوربا بيمارستانات كبيرة لعلاج المجانين وبعبارة الطف مرضى العقول ومعالجتهم فنٌّ قائمٌ بنفسهِ فلا بدَّ ان يتمرَّن الاطباءُ والممرضون عليهِ قبل مباشرتهِ

ويجب على الذين يتولون تمريض المجانين ان لا يتظاهروا بالخوف منهم وان يكونوا طوال الاناة صبورين لانهم ان كانوا لا يستطيعون ضبط انفسهم فلا يستطيعون ضبط غيرهم

والمجنون كثير المخاوف والحيل. فيجب على من يمرضهُ ان يكون مستعدًّا لتدارك امرهِ دائمًا فاذا عمد الى استعمال القوة والضرب فالواجب ان لا يقابَل بمثلهما بل ان تتقى ضرباتهُ بهدوءٍ وسكينة وتمسك يداهُ بلين وتنزلا على مساواة جسمهِ . واذا عمد الى الاضرار بنفسهِ بالانتحار وجب ان تراقب نوافذ غرفتهِ وينزع من الغرفة كلُّ ما يمكن ان يؤذي نفسهُ بهِ مثل الزجاج والسكاكين والقناني وغيرها . واذا استعمل الفاظ البذاءة والسباب كما هي عادة المجانين غالبًا فليترك وشأنهُ

واذا كان المريض امرأة اصيبت بالمالنخوليا (السوداء) بعد الولادة او رجلاً اصيب بها على اثر كثرة الهموم والاشغال فيجب ان يرسلا الى حيث يبدلان الهواء . فان تبديل الهواء وتغيير هيئة المعيشة الاولى يعودان على المريض بالشفاء ولكن اذا أُهمل امرهُ فربما صار مرضهُ مزمنًا وبات عالة على اهلهِ

ومن اعسر فنون الجنون تمريضًا حوادث المجانين الذين يأبون تناول الطعام فيؤدي بهم الامر الى الموت جوعًا . ففي البيمارستانات يستعملون ما يسمونهُ " الاطعام الاجباري " وذلك انهم يلقون المجنون على ظهرهِ ويمسكون ذراعيهِ ورجليهِ ويدخلون انبوبة في فمهِ حتى تصل المريء ثم يصبون فيها مرقة او لبنًا . واذا كان المجنون قويًّا اقتضى خمسة اشخاص لاطعامهِ

وهناك شكل آخر من اشكال الجنون يصعب تمريضهُ وهو اذا كان المجنون قذرًا وسخًا يأبى ان يغتسل او ان يمشط شعرهُ ويميل الى اللعب بالاقذار والاوحال . فيجب من ثمَّ ان يعيَّن لهُ شخص يحرسهُ ويراقب حركاتهِ بالصبر والثبات

على ان هناك مجانين بسطاء ودعاء يعاشرهم المرءُ ساعات قبل ان يكتشف نوع جنونهم مثال ذلك ان رجلاً ظنَّ نفسهُ حبة قمح فكنت تراهُ هادئًا ساكنًا فاذا رأى دجاجة فرَّ مذعورًا وهو يصيح مستغيثًا ظنًّا منهُ انها ستتبعهُ لتأكلهُ . وآخر ظنَّ نفسهُ ملك انكلترا وان

انكلترا كلها ملك لهُ فكنت تراهُ سعيداً مسروراً ولم يكن يتعرض لاحدٍ بسوءٍ

ويجب على الذين يمرّضون المجانين ان يكونوا اصحاب ذكاء ودهاء . ولا بدَّ ان كثيرين سمعوا حكاية الطبيب الذي امسكهُ ستة مجانين في غرفة وقالوا لهُ " هلمَّ بنا نقفز من احدى نوافذ هذه الغرفة الى اسفل ولكن يجب عليك ان تقفز امامنا اولاً فاذا ابيت ذلك عمداً الجأناك اليهِ مكرهاً " فاجابهم الطبيب ضاحكاً " لست ارى في القفز الى اسفل اقلَّ مهارة وانما كلُّ المهارة في القفز الى اعلى فهلمَّ يا رفاقي وانظروني اقفز الى اعلى " ثم ركض امامهم الى حديقة هناك وجعل يلاعبهم ويحاول القفز الى اعلى الى ان نجا منهم

وممَّا يعالج المجانين بهِ اقامة المراقص لهم واحضارهم الى مراسح التمثيل واللعب على البيانو امامهم وعمل الالعاب لهم في الخلاء . ولذلك نرى البيمارستانات اكثر المستشفيات اتقاناً واكملها ترتيباً ولو ما نراهُ فيها من الغرف المبطنة الجدران بالحشايا والممرضات والاطباء والمرضى ما كنَّا نعرف اين نحن عند زيارتنا لها . والذين رأوا الحبوس المظلمة التي كان المجانين يوضعون فيها في هذه البلاد والسلاسل التي كانوا يوثقون بها يندهشون عند رؤية البيمارستانات الجميلة في ممالك اوربا حيث يبذل الناس النفس والنفيس في تخفيف بلايا الانسانية وتوفير اسباب الخير والرفاه للامم

لسع الحشرات

اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولداً فاجتهد اولاً لتنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) من الجلد واغسل مكانهُ بروح الامونيا . واذا لم توجد روح الامونيا فاجبل كروبونات الصودا بالماء وضعها على مكان اللسع . واذا لم توجد فضع عليهِ زيت الزيتون او عجين الدقيق . واذا امتصَّ احد الجرح بفمهِ حالاً بعد اللسع زال اكثر الالم . واذا اشتدَّ الالم فضع على الجرح لزقة من بزر الكتان

عضة الكلْب الكلِب

اذا كانت العضَّة في طرَف من الاطراف كاليد او الرجل فاربط العضو المعضوض فوق العضَّة ربطاً شديداً لقطع اتصال الدم بين ذلك العضو وبين القلب ثم مصَّ الدم من الجرح بمصاصة من الكاوتشوك . ويمكن مصهُ بالفم اذا لم يكن فيهِ جرح . واجبل التراب بالماء وضعهُ على مكان العضَّة الى ان يحضَّر كاوٍ كحجر جهنم يكوى الجرح بهِ ويجب غسل الجرح من التراب قبل كيهِ . ولابدَّ من حفظ الكلب الى ان يُرَى هل هو مصاب بالكلَب اوغير مصاب بهِ

باب الزراعة

مدارس الزراعة

وحاجة البلاد الكبرى

من يجل بين الفلاحين الآن ويقابل كبار المزارعين من اصحاب الاطيان الواسعة يرَ ثغورًا باسمة ووجوهًا متهللة لما يرون من ارتفاع اسعار الحاصلات ولاسيما القطن الذي كان ثمن القنطار منهُ منذ خمس سنوات اقل من جنيهين وقد بلغ الآن اربعة جنيهات او خمسة فان نفقات الزرع تسدُّ كلها من الجنيهين الاولين وما بقي ربح صافٍ للمالك او للمالك والمؤاجر وعليهِ فقد زاد دخل البلاد من القطن وحدهُ اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات. وكل الحاصلات الاخرى كالحنطة والذرة والفول والشعير تضاعف ثمنها تقريبًا ولكن لما كانت تؤكل كلها في البلاد ولا يصدر منها الى الخارج الاَّ شيءٌ قليل فليس منها ربح للبلاد عمومًا ولو ربح بها المزارع من غيرهِ من سكان القطر

اما الربح من القطن ومن كل ما يصدر من القطر فحقيقي تزيد ثروة البلاد على مقدارهِ فان كان عشرة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم فهو اكثر من ربح الذهب الذي يستخرج من الترنسفال لان اعظم ما بلغهُ ذلك الذهب في سنة واحدة نحو ١٥ مليون جنيه يذهب نصفها نفقات في استخراجهِ اما العشرة الملايين الزائدة في ثمن القطن فكلها ربح للزارع والتاجر ومعلوم ان مناجم الترنسفال اغنى مناجم الدنيا ذهبًا فالقطن المصري اربح منها في سنة مثل هذه السنة. والمنتظر ان هذا الربح لا يقلُّ عن ذلك في المستقبل لجودة القطن المصري وشدَّة الحاجة اليهِ ولذلك لا عجب اذا بسمت الثغور وتهللت الوجوه

ولكن تلك الثغور الباسمة والوجوه المتهللة لاتلبث ان تنقبض وتعبس اذا عرض للزراعة عارض من ندوة او حشرات او اصاب المواشي مرض كالطاعون البقري الذي فشا الآن في القطر وعند كل حادث غير عادي يصيب الزراعة او المواشي لان الفلاحين على مهارتهم في اعمال الزراعة العادية لا يعلمون كيف يدفعون العاهات ولا كيف يتقونها ولا لوم عليهم لان اتقاء العاهات ودفعها يقتضي علمًا خصوصيًّا بطبائع الارض والنباتات والحيوانات وما يصيبها من العاهات وهذا العلم يُعرَف بعضهُ بالاختبار ولكن لا يعلم كلهُ الاَّ في المدارس الزراعيَّة.

وقس على ذلك امورًا اخرى تتعلق بالزراعة او تبنى عليها كتصليح الارض واستحيائها وحفر المراوي والمصارف فيها وتكعيبها واختيار تقاوي المزروعات والسماد المناسب ومقاومة ما يعتري الارض من نشع وسبخ فان ذلك كلهُ يُعلَم بعض العلم بالاختبار ولكن لا يعلم جيدًا الَّا بالدرس المدقق والوقوف على القواعد الكلية التي وصل اليها علماء الزراعة بعد البحث الدقيق والتجارب المتوالية

وقد رأينا في هذه الايام غيرةً تذكر لانشاء المدارس الصناعية في هذا القطر. ولا شبهة في ان هذه الغيرة في محلها والمدارس الصناعية أو الورش الصناعية لازمة للقطر لزوم المدارس العلمية ولكن لو جرينا على قاعدة تقديم الاهمّ على المهمّ لبذلنا هذه الغيرة في انشاء المدارس الزراعية اولاً لان الحاجة اليها امسّ . نعم ان الحكومة اجابت نداء البلاد وانشأت مدرسة زراعية وبغيرها كان يستحيل ان تنشأ مدارس أُخرى زراعية ولكن أين مدرسة واحدة من بلاد فيها اكثر من مليوني مزارع واكثر من خمسة ملايين فدان تزرع سنويًّا زرعتين او ثلاثًا فلو انشئ عشر مدارس زراعية تخرّج منها مئة طالب كل سنة ما كان ذلك كثيرًا عليها لانهُ يجب ان يكون كل ناظر زراعة من العارفين بقواعد الزراعة وما يتصل بها . واذا فرضنا ان الناظر الواحد يستطيع ان يتولَّى مراقبة ألف فدان وجب ان يكون في البلاد خمسة آلاف ناظر من المتفقهين في الزراعة علمًا وعملاً فلا تستطيع المدارس ان تخرّج هذا العدَد من الطلبة حتى يتضاعف زمام الاراضي الزراعية

هذا وفي البلاد فريق يظن ان الحكومة تستطيع ان تفعل كل شيء ويجب عليها ان تفعل كل شيء لكن هذا الظن آخذ في الزوال من الاذهان وحسبُ الحكومة انها انشأت اول مدرسة زراعية وانها علَّمت بعض الشبان الذين يستطيعون ان يعلّموا غيرهم في المدارس التي ينشئها اهل البر والاحسان فعسى ان تبدو رغبة المحسنين في انشاء المدارس الزراعية كما بدت في انشاء المدارس الصناعية فيخدموا بلادهم خدمة لا تقدر

الطاعون البقري

كنا بالامس نسمع بتفشي هذا الوباء في طرف افريقية الجنوبي أي بلاد الترنسفال فاذا بنا نراهُ فاشيًا الآن في طرفها الشمالي أي في القطر المصري ويعلم القرّاء انهُ فتك بمواشي الترنسفال فتكًا ذريعًا حتى اقتضت الحال ارسال اطباء خصوصيين لدرسهِ ومعرفة اعراضهِ واحوال سيرهِ وسائر ما يتعلق بهِ لكي يتمكنوا من اكتشاف الدواء الشافي لهُ ولكنهم لم يوفقوا الى نتيجة كافية لذلك وغاية ما نؤملهُ انهُ يقف عند حدّهِ في هذا القطر بفضل الاحتياطات التي

اتخذت وان وطأَتهُ تكون خفيفة رحمة بالزارع والفلاح من الاهالي

وقد فشا هذا الوباء في القطر المصري منذ عشرين سنة وفشا ايضاً نحو منذ اربعين سنة ففتك فتكاً ذريعاً . و يقال انهُ دخل بلاد الانكليز منذ سنين كثيرة فاهلك ثلاثة ملايين من مواشيها

أما ما فعلتهُ الحكومة فهو أن نظارة المالية طلبت من صندوق الدين ٢٠ ألف جنيه لتنفقها على الاحتياطات التي تتخذها مصلحة الصحة لمقاومة الوباء . واصدرت مصلحة الصحة عدة منشورات الى المديرين والمفتشين البيطريين بما يجب عملهُ في هذا الشان . وابلغت نظارة الداخلية المنشورات التي اصدرتها مصلحة الصحة عن الوباء للمديريات والمحافظات واردفتها بمنشور آخر حضت فيهِ اصحاب الشان من الموظفين على ابلاغ مصلحة الصحة كل اصابة مشتبهة واتخاذ التدابير التي اشارت بها هذه المصلحة

وارسلت نظارة الحربيّة فصيلة من الطوبجيّة الى الاماكن التي ظهر الطاعون البقري فيها لمساعدة رجال الصحة على منع انتقال المواشي من الاماكن الموبوءة الى الاماكن السليمة . واستقدمت مصلحة الصحة الباشمفتش البيطري وسائر المفتشين البيطرين الذين سافروا بالاجازة الى انكلترا

اما اعراض هذا الوباء المهمة فهي

- اولاً ارتفاع درجة الحرارة من ٤٠ الى ٤١ ونصف بمقياس سنتغراد
- ثانياً امتناع الاجترار
- ثالثاً سيلان مواد لعابيَّة كثيرة من الفم
- رابعاً تقرُّح اللسان والفم والانف
- خامساً التهاب المهبل
- سادساً اسهال مع هزال سريع واخراج روث قاتم كريه الرائحة
- سابعاً عسر التنفس وسرعتهُ
- ثامناً وجود دم في البراز والبول
- تاسعاً فقد اللبن من ضرع البقر وكثرة اسقاط الابقار الحاملة
- عاشراً ينفق الحيوان في الحال بعد ما يصاب بالعوارض المتقدمة

وقد قالت مصلحة الصحة في احد منشوراتها ان رجال العلم اكتشفوا منذ مدة علاجاً لمنع عدوى هذا الوباء وتخفيف وطأَتهِ وذلك ان تحقن المواشي السليمة بقليل من دم الحيوان المصاب

والمصل الذي اكتشف حديثاً للوقاية من هذا الداء فلا تنقل العدوى اليها وان هذا العلاج جُرّب في الهند وجنوب افريقية والسودان فافاد فائدة عظيمة ومنع انتشار المرض وقد ارسلت الى الهند وجنوب افريقية تطلب مقداراً عظيماً منهُ

ورفع جناب الدكتور بنشنج تقريراً عن سير الطاعون البقري في القطر المصري الى عطوفة ناظر الداخليَّة قال فيهِ ان جميع مراكز مديريَّة البحيرة تعد كأَنها تلوثت وكذلك يعدُّ مراكز امبابة والجيزة في مديريَّة الجيزة وانهُ جاءهُ كتاب من المستر برانش يخبرهُ فيهِ انهُ وجد ثورين نافقين وثلاثة حيوانات أُخرى مصابة بهذا الداء في شباس الشهدا بمركز دسوق فدل ذلك على ان العدوى امتدت الى مديريَّة الغربيَّة

فاتخذت جميع الاحياطات اللازمة لايقاف سير المرض واقفلت جميع الكباري لمنع مرور المواشي من ضفة الى ضفة اخرى ومنعت القوارب من الجولان في النيل ولكنهُ يخشى ان يستحيل منع المواشي من الانتقال بسبب انخفاض المياه وسهولة عبور المواشي من بعض الجهات التي انخفض ماؤُها

وقد حقن مئات من المواشي بما في مخازن الصحة من المصل الواقي من الوباء في مديريَّة البحيرة في الايام الاخيرة ولم يؤَجل الحقن بهِ الى الآن الاَّ لمعرفة نتيجة التجارب التي جربوها منذ ايام

وقد انشئ معمل لصنع المصل في العباسية وحقن منهُ اربع مواشٍ لاستخراج المصل منها ولكن لا ينتظر الحصول على مصل من هذه المواشي قبل اربعة اسابيع على الاقل

وحقن كثير من المواشي السليمة في مديرية البحيرة وبعض المواشي في مديرية الجيزة بالصفراء وطريقة هذا العلاج قائمة بحقن الحيوانات السليمة بعشرة سنتمترات مكعبة من الصفراء المستخرجة من حيوان نافق او مصاب بالطاعون البقري منذ سبعة ايام

وهذا العلاج يقي الحيوانات التي تعالج بهِ من الطاعون مدة ثمانية اشهر على الاقل ولكن فائدتهُ لا تكون مثل الحقن بالمصل والدم غير انهُ يتخذ وسيلة لمقاومة الوباء ريثما يصل المصل المطلوب الى مصلحة الصحة

ثم ابدى اسفهُ لان الاهالي يبالغون في اخفاء الحيوانات المصابة عن عمال الصحة كما كانوا يفعلون ايام الكوليرا والطاعون البشري فقد وجد المفتش الانكليزي ثلاثة حيوانات مصابة بالطاعون منذ ٢٦ الجاري في عزبة بمركز امبابه فقتلها بمساعدة البوليس واكد لهُ الاهالي انه لا توجد اصابات أُخرى عندهم ثم ورد من هذا المفتش ما يفيد انهُ وجد حيوانين آخرين

نافقين واربعة مصابة بالطاعون في تلك الناحية ولا ريب ان هذه الاصابات كانت موجودة عند اكتشاف المفتش للثلاث الاصابات الاولى ولكن الاهالي اخفوها عنهُ فاذا كان مثل هذا الانكار والاخفاء يحدث في مركز تطوف فيهِ الجنود مشاةً وفرساناً وعمَّال الصحة للبحث عن الاصابات فما بالك بالمراكز التي تخلو من الملاحظين والمراقبين

ثم بسط الامل ان تشديد العقوبة على الذين يخفون الاصابات يأْتي بفائدة عظيمة ولكنهُ يخشى أَن يكون الضرر قد وقع فعلاً وقال ان الوفيات بهذا الداء تبلغ من ٨٥ الى ٩٠ في المئة اذا لم يراقب كما يجب فاذا لم يتحد اصحاب المواشي علي مدّ يد المساعدة الى رجال الصحة في اتخاذ الاحتياطات الوافية فالمرجح عدم الوصول الى ايقاف الوباء

موسم القطن

ثبت الآن ان الموسم الماضي يقصر عن ستة ملايين قنطار بنحو ربع مليون قنطار او اكثر فقد بلغ الوارد منهُ للاسكندرية حتى اواخر يونيو ٥ ٦٩٧ ٩٦٤ قنطاراً يقابلها في العام الماضي الى هذا التاريخ ٦ ٤٦٦ ٣٢٥ قنطاراً او نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار فالفرق بين السنتين نحو سبع مئة الف قنطار الَّا ان انكلترا اخذت من الموسم الاخير اكثر ممَّا اخذت من الموسم الذي قبلهُ ولعلَّ السبب في ذلك نقص الوارد اليها من اميركا

ولا يُعلَم حتى الآن كيف يكون الموسم المقبل لكن مساحة المزروع كبيرة ونمو النبات جيّد غالباً ولو تأَخر كثيراً في بعض الجهات البحرية لكثرة الامطار التي هطلت في اوان الزرع واذا سلِم من الآفات الجويَّة ومن الحشرات فلا يبعد ان يبلغ سبعة ملايين قنطار. وسواء بلغ هذا الحد او زاد عليهِ فلا خوف من هبوط الاسعار الحاضرة الَّا اذا حدث في الدنيا حادث غير منتظر كحرب كبيرة او مصيبة اخرى تصيب البشر لان الاخبار عن موسم اميركا لا تدل على انهُ سيفوق موسم العام الماضي بل هي بالضد من ذلك تنبئ بضعفهِ وتأَخرهِ وهبْ انهُ بلغ ما بلغ في العام الماضي او زاد عليهِ قليلاً فقلة المتأَخرات هذا العام وازدياد الطلب علي القطن الاميركي في اميركا نفسها وازدياد عدد الناس الذين يستعملون المنسوجات القطنية سواءٌ كان بزيادة المواليد علي الوفيات او بافتتاح اسواق جديدة للتجارة كل ذلك يدعو الى ازدياد المقطوعية من القطن عموماً

وللقطن المصري خاصةٌ محلٌّ لا يقوم فيهِ مقامهُ قطن آخر لانهُ لطول اليافهِ (شعرتهِ) ودقتها ومتانتها ينسج مع الحرير او تمط خيوطهُ فتصير كالحرير لمعاناً وتستعمل بدلاً منهُ في

كثيرٍ من المنسوجات التي كان يستعمل فيها ولهذا كلهِ يرجَّح ان ثمن القطن المصري في الموسم المقبل لا يهبط عن السعر الذي وصل اليهِ الآن الاَّ لاسباب تجارية او عمومية يتعذر معرفتها من الآن

بزرة القطن

قل الوارد من بزرة القطن هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي لقلة الموسم لكنَّ ثمن البزرة لم يرتفع كما ارتفع ثمن القطن لانها لا تُستعمل الاَّ لعصر الزيت وهذا تشاركها فيهِ حبوب اخرى مختلفة الانواع فلا يُنتظر ان يغلو ثمنها الاَّ اذا اصاب تلك الحبوب الزيتيَّة محلٌ غير منتظر

زيت البترول والحشرات

لا شبهة في ان زيت البترول افعل علاج لقتل الحشرات التي تسطو على الاشجار ولاسيما الحشرات القشرية التي تمتص عصارها . ولزيت البترول فعل خاص بالحشرات حتى ان مجرَّد اتصالهِ بها يقتلها ولا يعلم سبب ذلك تماماً حتى الآن وزيت البترول النقي الذي يستعمل للاضاءة غالي الثمن حتى لقد يزيد ثمنهُ على المنفعة التي تحصل منهُ الاَّ انهُ يوجد زيت آخر رخيص الثمن جدًّا وهو زيت البترول نفسهُ قبل ان يتكرَّر ويتنقى . وقد ظهر من التجارب في اميركا ان هذا الزيت غير النقي اصلح لقتل الحشرات من الزيت النقي ولاسيما اذا استعمل شتاءً لقتل الحشرات القشرية التي تلصق باشجار الليمون واثمارهِ

قال احد الثقات من الاميركيين ان هذا الزيت استعمل كما يستعمل الزيت النقي فظهرت لهُ مزية على الزيت النقي في انهُ لا يحرق قشر الاشجار بسهولة كالزيت النقي ولا يتبخر كلهُ بسهولة مثلهُ وحينما يتبخَّر يبقى منهُ قشرة على الشجر عدة اشهر

وقال آخر اني اعد زيت البترول غير النقي احسن علاج لقتل الحشرات وهو يستعمل مخففاً وغير مخفف ولكن لا بدَّ من الحكمة والاعتناء في استعمالهِ

الاَّ ان انواع زيت البترول غير المنقى كثيرة ولا بدَّ من اختيار الانواع التي ثبت بالتجارب انها افعل من غيرها في قتل الحشرات

باب التقريظ والانتقاد

كتاب البؤساء *

الجزء الاول

قابلت جرائد القطر المصري هذا الكتاب بما لم تقابل بهِ كتاباً آخر قبلهُ لان واضعهُ فكتور هيجو من اكبر ارباب النظم والنثر بالفرنسوية ومترجمهُ الناظم الناثر محمد افندي حافظ ابرهيم من ارباب الانشاء العربي ومن نخبة شعراء العصر. ولا تسهل الترجمة ما لم يكن المترجم مالكاً ناصية اللغتين المترجم منها والمترجم اليها وما لم يكن بين اللغتين مشابهة في الاساليب والتعابير. اما امتلاك ناصية العربية نظماً ونثرا فهماً امتاز بهِ المترجم وهو يعرف الفرنسوية معرفة كافية ولكن المشابهة بين الفرنسوية والعربية قليلة جدًّا وذلك مما يزيد الترجمة وعورةً الَّا اذا حذا المترجم حذو المترجمين الاولين الذين نقلوا عن الفارسية واليونانية والسريانية فشحنوا لغتنا بالالفاظ والتعابير العجميَّة واخذناها عنهم ونحن نحسبها من لباب عربية مضر. اما المترجم فتوخَّى مخالفة ذلك فعانى اشد المشاق في نقل المعاني الفرنسوية وافراغها في قالب عربي متين

وكتاب البؤساء Les Misérables من اشهر الروايات الفرنسوية وابلغ ما كتبهُ فكتور هيجو نثرًا وهو على ما فيهِ من المواعظ والحكم وبلاغة الانشاء سلس العبارة مألوف الالفاظ والتعابير يقرأهُ الاولاد بين العاشرة والخامسة عشرة من عمرهم فلا يتعذر عليهم فهمهُ. قرأهُ اولادنا بالفرنسوية وهم في هذا السن فما اضطروا الى استخدام كتب اللغة

وفي الكتاب اسهاب يملهُ كثير الاشغال ضيق الوقت ولكن من كان في سعة من وقتهِ قد لا يترك صفحة منهُ ولو قضى شهورًا في قراءتهِ ولذلك كثر رواجهُ وتُرجم الى لغات عديدة فربح منهُ واضعهُ وطابعهُ ومترجموهُ وناشروهُ فقد نشرهُ واضعهُ سنة ١٨٦٢ وطبعهُ بعشر لغات في وقت واحد في باريس وبركسل ولندن ونيويورك وميلان وليبسك وانفرس ومدريد وورسو وبشت وريو جنايرو. فجرى في تأليفهِ وترجمتهِ ونشرهِ في عواصم اوربا واميركا مجرًى تجاريًا حتى ينحصر الكسب المالي منهُ فيهِ وفي الذين تولَّوا ترجمتهُ وطبعهُ ونشرهُ. فهو عمل تجاري كبير الربح كما انهُ مصلح ادبي كبير النفع. ولو اعتمد المترجم العربي على "الترجمة التجارية" التي ازدراها ما سلخ اثني عشر هلالاً في تعريب مئة وخمسين صفحة واضطرَّ ان يهمل ضعفيها

بل كان عرَّبها كلها في اثني عشر يوماً وجاءت اروج واربح

وقد ترك المترجم القسم الاول من الكتاب وابتدأ من القسم الثاني واختصر في اكثر الاماكن واسهب في غيرها وافرغ بعض المعاني في الفاظ كالدر او هي اثمن كقولهِ عن جان فالجان "ولا يعلم الَّا الله ما الذي حلَّ بعدهُ بتلك الارملة واولادها وقد خلَّفهم على مدرجة من سيول الحوادث يعبث الجوع بأحشائهم ويلعب اليأس بأرواحهم وليس لهم معين ولا نصير وقد ركب كلٌّ منهم رأسهُ وهام على وجههِ من فرط الجوع وتغلغل في ظلمات هذا الوجود ولحق بمن ابتلعتهم تلك الظلمات من البؤساء وتشتتوا في البلاد وجرَّ عليهم الدهر ذيل النسيان فنسيهم حتى ذلك السجين في سجنهِ انساهُ اياهم كرُّ الغداة ومرُّ العشي وتتابع البلاء وتوالي الشقاء". الَّا انهُ اهمل هنا معنىً فلسفيًّا ردَّدهُ المؤلف مرارًا وهو ان نوع الانسان آخذ في التقدُّم مثل جيش جرار سائرٍ في فتوحهِ ولا بد من أن يقع كثيرون منهُ في الطريق لضعفهم او لعوارض تعرض لهم فلا يعبأ الجيش بهم ولا يقف عن سيرهِ لاجلهم بل يبقى حاثًّا الركاب الى ان يصل الى الغرض المطلوب. وقد عبَّر المؤلف عن ذلك بقولهِ la sombre marche du genre humain

وفاقت بلاغتهُ بلاغة الاصل احيانًا على مايظهر لنا كقولهِ "وكأَن الطبيعة لم تزحزح هذا النقاب عن وجه القمر في تلك الفترة الَّا لتوضح لعيون الكون عمل ذلك الجاني لعلهُ يذكر او يخشى فلقد كان القمر منذ زمن لايتعدى شطر الساعة مقنَّعًا بغمامةٍ سوداء وقد انجلت عنهُ في اللحظة التي اوشك فيها ان يعثر هذا الشقي بأعواد السرير. ومن رأى ذلك المضطجع (المطران) على فراشهِ رأى رجلاً قد قام على رأسهِ حارسان من المهابة والجلال يتألَّق في وجههِ نور اليقين ويجول في محياهُ ماء البشر وترتسم على وجههِ آيات الرضى والقبول وتكتسي شفتاهُ بابتسامة الامل الفسيح ويتأرَّج من اردانهِ ريح التوكل" وكقولهِ. "هل كان يسمع صوت ذلك الهاتف السماوي الذي بات ينذرهُ بعقباهُ ويكل لهُ الخيار بين خلتين اما نزوع عن الغواية فسموٌّ الى مقام الابرار واما استرسال في الضلالة فهبوط الى قرار الفجار ويوضح لهُ سبيل الحياة بين امرين اما سعادة دونها سعادة ذلك العابد واما بؤس خير منهُ بؤس المصفد في قاع السجون"

الَّا ان هذه القلائد الدرية شيبت مرة او مرتين بالفاظ وتعابير لا تصلح ان تنتظم في عقد هذا الكتاب والكمال لله

وحبذا لو راعى المترجم مقام المتكلمين فلم ينطق الخدم بكلام منتقى لا ينطق بهِ الَّا كبار

المنشئين كقولهِ بلسان خادمة العابد (المطران) " لقد هبط المدينة رجل مريب ما رآهُ احد الَّا وذعر من رؤيتهِ وقد مشى بحديثهِ الكبير والصغير فورد الاندية وولج الاخبية " الخ والكلام في الاصل بلسان الراوي لا بلسان مدام مغلوار

وعندنا انهُ اذا خلا هذا الكتاب من الكلام اللغوي الذي لم يألفهُ جمهور القراء زاد رواجهُ وكثر الانتفاع بهِ وهما غايتان لا يليق باحد اغفالها. وقد اهداهُ المترجم الى العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . وفقهُ الله الى اتمام تعريبهِ ونشرهِ ونفع بهِ كما نفع باصلهِ

نوبار باشا

وما تمَّ على يدهِ

اهدي الينا كتاب بهذا العنوان يشتمل على اكثر مئتي صفحة الفهُ حضرة الاديب نجيب افندي مخلوف وضمنهُ اثني عشر فصلاً في شؤُون مصر المختلفة والتقلبات التي طرأت عليها في حياة المرحوم نوبار باشا الشهير من ايام بوغوص بك يوسفيان الى عهد المغفور لهُ توفيق باشا الخديوي السابق . والفصول تبحث في حياة بوغوص بك يوسفيان كاتب سر محمد علي باشا وحياة نوبار باشا وعباس باشا الاول وسعيد باشا وقنال السويس وعلاقة نوبار باشا بالخديوي اسمعيل والامتيازات الاجنبيَّة والاصلاح القضائي وتنظيم المحاكم والمالية والخديوي توفيق باشا وماجريات حكمهِ

والكتاب مزين بالرسوم مثل رسم سمو الخديوي الحالي ونوبار باشا وبوغوص بك وسعيد باشا وعباس باشا الاول ودي ليسبس واسمعيل باشا وتوفيق باشا ومختار باشا الغازي ورياض باشا والمهدي والتعايشي وغردون باشا وهكس باشا واللورد كتشنر وغيرهم

منتخبات الحدَّاد

اهتمَّ حضرة الاديب حنَّا افندي نقَّاش بجمع الآثار الادبية التي خلفها فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وهي المقالات التي نشرها في الجرائد والتي لم يفسح لهُ الاجل في نشرها بل بقيت محفوظة في اوراقهِ ومعظم المقالات ادبيٌّ وبعضها سياسيٌّ واجتماعي وتاريخي اما الادبية فمنها مقالة في الفقير والغني واخرى في وصف ممثلة واخرى في الشبيبة في مصر وكيف يكون الاستقلال واما السياسية والاجتماعية والتاريخية فمنها مقالة في الانكليز واخرى في

الزواج واخرى في الطلاق واخرى في المرأة والعلم وغيرها في انتحار كليوبترا وهلمَّ جرًّا · والمقالات كلها بليغة العبارة صحيحة التركيب تشهد بما اشتهر عن مصنفها المرحوم من حسن الذوق والتدقيق في مآخذ الانشاء

القول السديد

في حرب الدولة العلية مع اليونان

ألَّف هذا الكتاب حضرة الفاضل علي رضا شاكر بك نجل المرحوم محمد شاكر باشا وهو يشتمل على ١٩٤ صفحة وهو وان يكن جاء متأخرًا الَّا انهُ يمتاز على الكتب العربيَّة التي تقدمتهُ في هذا الموضوع بصورهِ الكثيرة عن مواقع الحرب المذكورة والقواد الذين اشتهروا فيها من الفريقين المتحاربين . وفيهِ تفصيل المواقع وصورة معاهدة الصلح الرسمية التي عقدت بين الدولة العثمانية واليونان بعد انتهاء الحرب بموادها الست عشرة. ويلي ذلك فصل في اسباب الحرب بين الدولة العلية واليونان

الجامع الازهر

انتدبت الحكومة المصرية حضرة الفاضلين عزتلو احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار ومصطفى بك بيرم وكيل النائب العمومي لينوبا عنها في مؤتمر علماء اللغات الشرقية الذي عقد في مدينة همبرج بالمانيا في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢. فخطب الاول في كتاب قديم عنوانهُ ”العز والمنافع في المجاهدين بالمدافع“ لمؤلفهِ ابرهيم بن احمد غانم الاندلسي . وخطب الثاني في الجامع الازهر . وقد طبع خطبتهُ واهدى الينا نسخة منها فاذا بهِ يبحث فيها عن تاريخ بناء الجامع المذكور وسبب تسميتهِ بالازهر وطريقة التدريس فيهِ ونموّهِ واروقتهِ المختلفة ودروسهِ الماضية والحاضرة ومدة الدراسة والمدرسين والطلبة وجميع ما يتعلق بهم · وقد نشرنا فصلاً منهُ في هذا الجزء لما احتواهُ من الفوائد وللدلالة على طريقة بحثهِ فيهِ

وممَّا جاء في هذا الكتاب ان عدد الطلبة بلغ ١٠٤٠٣ انفس في السنة الماضية منهم ٦٤٥ طالبًا اجنبيًّا اي ان الاجانب جزءٌ من ١٦ جزءًا من الوطنيين · ومعظم الوطنيين من سكان الارياف وليس بينهم من سكان القاهرة سوى نفر قليل ومعظم الاجانب من السوريين فان عددهم ٢٦٤ طالبًا والاجانب كلهم ٦٤٥ طالبًا كما تقدَّم اي ان السوريين ٤٠ في المئة من مجموع الاجانب

"وقد احصي عدد المشتغلين بالعلم في الازهر سنة ٨١٨ هجرية فبلغ ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيالعة ومصريين ومغاربة"

الف ليلة وليلة

اتمت ادارة الهلال طبع الجزء الثالث من حكايات الف ليلة وليلة وهو يبدأ بالحكاية المئتين والثامنة وينتهي بالحكاية الثلاث مئة والحادية والثلاثين. والكتاب متقن الطبع حسن الورق مزدان بالصور وثمن النسخة منهُ عشرة غروش صاغ

تاريخ سيام

وقفنا الآن على هذا الكتاب وهو يتضمن تاريخ مملكة سيام من قلم حضرة عزتلو حكمت بك شريف باشكاتب المجلس البلدي في طرابلس الشام وكان قد ادرجهُ تباعًا في جريدة طرابلس الشام فاطلع عليهِ كلّ من يقرأ تلك الجريدة من سكان المملكة العثمانية فلما جمعهُ في كتاب واحد واراد نشرهُ وبيعهُ لم تسمح لهُ ادارة مراقبة المطبوعات بذلك ولعل عذرها انها تخشى ان الكتاب المذكور يخدش الاذهان وهو العذر الذي تنتحلهُ في كل ما لا تريد نشرهُ

اللغة العربية

ألَّف حضرة الاديب جرجس افندي الخوري احد نائلي شهادة الكلية الاميركية في بيروت ومدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام كتابًا صغيرًا في صرف اللغة العربية ونحوها قال في مقدمتهِ "وما زلت اقيد ملاحظاتي اثناء التدريس متخذًا اذواق الاحداث والحدثات رائدي حتى اجتمع لديَّ مواد وملاحظات كثيرة" الف منها هذا الكتاب وقد ادخل اليهِ نوعًا جديدًا من الاعراب سماهُ "الاعراب التصويري" اقتبسهُ عن كتب النحو الانكليزية تسهيلاً لمعرفة نسبة الكلمات بعضها الى بعض في الجملة. فنثني على همتهِ ونتمنَّى لكتابهِ الرواج

مطبوعات اخرى

ولدينا كتب اخرى صغيرة وكراريس في مواضيع مختلفة اهمها كتاب في اللغة البرتغالية لجامعهِ الاديب شكري افندي الخوري من السوريين المهاجرين الى البرازيل غايتهُ منهُ تسهيل

تعلُّم اللغة البرازيلية على الذين يهاجرون الى البرازيل من سورية . وهي همة يشكرهُ عليها كلُّ وطنيٍّ غيورٍ على مصلحة ابناءِ وطنهِ مهتمٍّ بخيرهم

ومنها كتاب عنوانهُ تدبير غذاء الرضيع الفهُ حضرة الفاضل الدكتور علي افندي حلمي الطبيب الاختصاصي لمعالجة امراض الاطفال وقد بحث فيهِ عن كيفية ارضاع الطفل وواجبات الام نحو نفسها ونحو رضيعها من حيث النوم والاكل والشرب وسائر الامور الصحية. وهو كتاب لا غنى عنهُ لكل الذين تهمهم صحة اطفالهم

ومنها كتاب الآيات البينات في تفسير النبوَّات وهو الجزء الاول وفيهِ تفسير نبوات عاموس وعوبديا ويونان ترجمهُ حضرة الاديب اسحق افندي خليل احد معلمي المدرسة الاكليريكية القبطية الارثوذكسية

اما الكراريس فمنها رواية عنوانها غرائب روبرتس ترجمها عن الانكليزية حضرة الاديب شهاد افندي ابرهيم ناظر المدرسة الاميركية في السنطة وهي رواية حقيقية لا وهمية „ تمثل الادوار التي تنقلب على الانسان من سعادة وشقاء في حالتي الفضيلة والرذيلة "

ومنها كراس يتضمن ملخص اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت للسنة الماضية وهي سنتها الرابعة والثلاثون

وكراس آخر يشتمل على القانون الاساسي لجمعية تهذيب الشبيبة السورية التي انشئت في بيروت هذه السنة . وقد جاء في المادة الاولى والبند الثاني منها ان غاية الجمعية تهذيب الاحداث السوريين في المدارس العالية بقطع النظر عن مذهبهم ووطنهم وجاء في المادة الرابعة والبند الاول „ ان مركز الجمعية موقتاً في المدرسة الكلية الاميركية " ولم يرد في الكراس اسم الذين سعوا في تاسيس هذه الجمعية . ولكننا نتمنى لها النجاح والثبات على كل حالٍ لان قصدها محمود ومسعاها مشكور

وبينها كراس لمؤلفهِ الاديب رضوان افندي حسين الفالوجي موضوعهُ الاصول الخطية وقد بحث فيهِ عن علم الخطّ او الكتابة واقسامهِ وكيفية كتابة الهمزة والالف والواو والياء في جميع مواضعها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا نخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر [illegible] لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) السيمناتوغراف

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . صفوا لنا آلة السيمناتوغراف

ج لا بدَّ من ان تتذكروا ان الاولاد يشعلون عوداً ويديرونهُ بسرعة فيظهر دائرة منيرة وسبب ذلك ان صورتهُ ترتسم في العين في كل نقطةٍ من مدارهِ ويصل الى آخر المدار قبلما تزول من العين صورة اول دائرتهِ فترى الدائرة كلها معاً . وعلى هذا المبدإ صُنع السيمناتوغراف اي على ان الصور التي ترتسم في العين لا تزول منها حالاً بل تبقى لحظةً من الزمان فاذا وضعنا امامها صورةً وازلناها سريعاً ووضعنا مكانها صورةً أُخرى متممةً لها بانت الصورتان معاً في وقتٍ واحد والثانية متصلة بالاولى . فيصنع الورق الحساس قدةً طويلةً تلف على نفسها كالبكرة وتوضع في آلة التصوير الشمسي وتفتح الآلة امام المناظر التي يراد تصويرها وتفك القدة الملفوفة داخل الآلة وتلف على بكرة اخرى حتى ترتسم عليها صورة ما امام الآلة من الاشباح المتحركة رويداً رويداً ولنفرض ان امام الآلة رجلاً يأكل وضع يدهُ في صحفة امامهُ فترتسم صورتهُ كذلك على قدة الورق داخل الآلة وحينما يرفع يدهُ من الصحفة ترتسم صورتهُ ايضاً وقبلما تصل الى فمهِ ترتسم ثالثةً ثم ترتسم صورتهُ حينما يضع اللقمة في فيهِ وترتسم كذلك حينما يحرك فكيهِ لمضغ الطعام وحينما يرد يدهُ الى الصحفة وهلمَّ جرًّا . فاذا رأى انسان هذه الصور مارةً امام عينيهِ بسرعةٍ على التوالي رأى فيها رجلاً يأكل طعامهُ من صحفة امامهُ يتناول الطعام بيدهِ ويلوكهُ بفيهِ كما لا يخفى . والسيمناتوغراف آلة توضع فيها هذه الصور المتوالية ويُعكس النور عنها او يخترقها ويقع منفرجاً على ستارٍ كبير وهي متحركة بسرعةٍ فتظهر الصور على الستار متتابعة تتابعاً لا تميزهُ العين اذا كان سريعاً بل تراها صورةً واحدة متحركة

(٢) الفانوس السحري

ومنهُ . ما هو الفانوس السحري

ج هو صندوق مبطنٌ بدهان اسود فيهِ من الامام عدسية كبيرة من البلور تكبر صور المرئيات ومن الوراء مرآة مقعَّرة تجمع

اشعة النور على العدسية وبينهما قنديل كهربائيٌّ او زيتي ساطع النور. تصنع لهُ صور شفافةٌ على الزجاج وتوضع بين القنديل والعدسية فيقع نور القنديل عليها ويخرقها وينفذ العدسية ويمرُّ منها منفرجًا حاملاً رسم الصورة ويلقيها على ستار منشور امام الفانوس على بضعة امتار منهُ وتكبر الصورة او تصغر حسب بعد الفانوس عن الستار ويزيد اشراقها او يقلُّ حسب قوَّة النور او ضعفهِ وحسب اقتراب العدسية من محترق اشعة النور . ولا تدرك هذه الامور جيدًا الاَّ بدرس علم البصريات

(٣) كهربائية شلال اصوان

ومنهُ . هل مشروع توليد القوة الكهربائية من شلال اصوان وتوزيعها في انحاء القطر يفيد مصلحة تلغرافات الحكومة في ايجاد طريقة اسهل من الطريقة الحالية لتسيير آلاتها وعددها

ج كلاَّ لان القوة التي يمكن توليدها في اصوان لا يمكن نقلها الى الانحاء البعيدة الاَّ على اسلاك ثخينة جدًّا من النحاس يبلغ ثمنها الوفًا كثيرة من الجنيهات فلا ينتظر ان تستعمل لذلك

(٤) المترادفات والقواميس

ومنهُ . افيدونا عن اسم كتاب للمترادفات العربية وقاموس عربي يسهل البحث فيهِ ويفي بمعاني الكلمات

ج لا نعرف كتابًا للمترادفات العربيَّة ولكن فقه اللغة والالفاظ الكتابيَّة يقومان مقامهُ . ونحن نعتمد على محيط المحيط واقرب الموارد من كتب اللغة واذا اشكل لفظٌ رجعنا الى لسان العرب وتاج العروس

(٥) الميكروب والمغنطيسية

ومنهُ . قلتم في عدد سابق ان احد العلماء اكتشف مكروبًا صغيرًا لهُ علاقة بالظواهر المغنطيسية والكهربائية فما هو وجه العلاقة بينهما

ج لا نذكر اننا ذكرنا شيئًا من ذلك ولعلكم تشيرون الى الذرات الصغيرة التي سميناها بالشوارد وهي اصغر من الجوهر الفرد ولها علاقة بالكهربائية كما ابنا غير مرة . ونرجو ان تخبرونا في اي جزء ذكرنا علاقة الميكروب بالمغنطيسية

---

(٦) اليهود والاطفال

وستر باميركا . الخواجه الياس الغز .

لهجت الجرائد بشان قتل اليهود للاطفال واستنزافهم دمهم لاتمام بعض الفرائض الدينيَّة فهل ذلك صحيح

ج ان ديانة اليهود مبنية على التوراة وليس في التوراة شيءٌ يوجب قتل الاطفال لغرض ديني او يجيزهُ . ثم ان ادعاء هذه الدعوى عليهم سهل وتصديقها غير صعب على الذين يحسدونهم او يبغضونهم ولكن الادلَّة التي قامت على اثباتها لم تقنع المنصفين . فهي باطلة ولهم ان يطلبوا عقاب من يتهمهم بها

(٧) سبب الرياح

الواحات البحريَّة . عبد العزيز افندي واصف يقال ان سبب تكوُّن الرياح هو من دوران الارض فما السبب في اختلاف مهابها وفي سكونها واشتدادها في اوقات مختلفة ما دامت الارض تتحرك في اتجاهٍ مخصوص لا يتغير وبسرعة واحدة لا تقلّ ولا تزيد

ج ان الرياح لا تتكوَّن من دوران الارض بل من فعل حرارة الشمس بسطح الارض وبالهواء المباشر لها فان الحرارة تمدّد الهواء فيخف ويصعد فيندفع الهواء البارد الى مكان الهواء الذي تمدَّد لارجاع الموازنة وتختلف الرياح باختلاف وجه الارض في تعرُّضهِ لاشعة الشمس ودرجات ارتفاعهِ وانبساطهِ واكتسائهِ بالنبات او بالرمال او بالمياه وبتعاقب الليل والنهار الى غير ذلك من الاسباب العمومية والموضعية . ولكن دوران الارض على محورها يغير اتجاه الرياح الجارية من القطبين الى خط الاستواء فان الهواء يخف عند خط الاستواء لاشتداد الحر هناك ويصعد فتاتي الرياح من ناحيتي القطبين الى خط الاستواء لارجاع الموازنة وتكون قبل مجيئها الى خط الاستواء دائرة مع الارض على محورها بسرعة دوران الارض فحينما تدنو من خط الاستواء تصل الى اماكن سرعتها في دوران الارض على محورها اشد من سرعة الاماكن التي اتت منها فلا تستطيع ان تجاريها بل تتأَخر عنها الى الغرب لان الارض تدور من الغرب الى الشرق فتجري هذه الرياح قرب خط الاستواء من الشرق الى الغرب بسبب سرعة دوران الارض على محورها هناك من الغرب الى الشرق وهي الرياح التجاريَّة المشهورة وسميت كذلك لان سفن التجار الشراعية تترقبها وتستفيد منها. هذا هو تأْثير دوران الارض في حركة الرياح وهو مضطرد على ما تسمح بهِ الفواعل الكثيرة التي تؤَثر في حركة الرياح

(٨) عدوى السل

الحدث بلبنان الياس افندي الشويري. ذكرتم في الجزء الماضي في آخر الكلام على السل انهُ يجب تبييض غرفة المسلول وطلاءُ ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيش فهل اذا طليت الحيطان بالجير المعروف عندنا بالطرش وطليت نوافذها بالمواد المستعملة عادة لدهن نوافذ البيوت يكون ذلك منطبقاً على المقصود من عبارتكم وكافياً لتطهير غرفة سكنها مسلول نحو ستة اشهر . ثم اذا كان ذلك كافياً لتطهير الحيطان والشبابيك فهل يلزم استعمال شيءٍ لتطهير ارض الغرفة وهي مرصوفة بالجص والرمل والجير

ج الطرش بالكلس ودهن الابواب والشبابيك يفيان بالغرض ولا بدَّ من غسل الارض بالماء الغالي اكثر من مرة او بالماء

الذي اذيب فيهِ السليماني ويحسن تبخير الغرفة اولاً بالكبريت يحرق فيها بعد ان يقفل بابها وكواها لكي يتطهر سقفها ايضاً ثم تترك مفتوحة مدة قبل سكنها لان النور والهواء من خير المطهرات

باب الاخبار العلمية

سكة الخط الواحد

اهم ما حدث من التغيير والاصلاح حديثاً في سكة الحديد جعل المركبات تجري على خطٍ واحدٍ بدلاً من خطَّين فتزيد سرعتها حتى تبلغ مئة ميلٍ او اكثر في الساعة . وتنشأ الآن سكة من هذا النوع بين لڤربول ومنشستر ويقدِّر منشئوها ان سرعة القطار عليها تكون مئة وعشرة اميال في الساعة فيصل من المدينة الواحدة الى الاخرى في عشرين دقيقة والمظنون انهُ اذا ثبت ذلك تنشئ شركات سكك الحديد خطوطاً مفردة بجانب خطوطها الحاضرة لتسير عليها قطرات الاكسبرس لاغير فتزيد سرعتها ولا تصطدم بغيرها

اشعة الراديوم

بيَّن الاستاذ رذفرد انهُ ينبعث من الراديوم ثلاثة انواع من الاشعة سمَّاها باسماء الاحرف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية النوع الاول منها ذرات صغيرة تنبعث من الراديوم فتمتصها المعادن بسهولة قطر الذرة منها مثل قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين وسرعتها عشر سرعة النور . والنوع الثاني مثل اشعة القطب السلبي المتولدة في انبوبٍ مفرغٍ من الهواء . والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن واشد نفوذاً منها

والنوع الاول هو الاهم وهو الذي تمتاز بهِ الاجسام المنيرة كالراديوم عن غيرها وهو ينبعث من الراديوم ولو كانت حرارتهُ مئة وخمسين درجة تحت الصفر

زلزلة وان

حدثت زلزلة عنيفة قرب بحيرة وان في التاسع والعشرين من شهر ابريل الماضي فخربت بها مدينة ملازجرد وسكانها الفا نفس وخرب بها اربع مئة بيتٍ من القرى المجاورة . ومركز الزلزلة قرب جبل سبان وقد سارت على امتداد وادي الفرات الشرقي

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في ولاية جورجيا بامير في غرة يونيو فخربت مباني كثيرة وقتلت ٦٤ نفساً وكان عرضها ثلاث مئة قدم لاغير فانحصر ضررها في هذا الطريق الضيق . وممَّا

فعلتهُ انها نقلت الطابقين العلويين من معمل مبنيّ بالاجر فيهِ اربع طبقات وحملتهما مئات من الاقدام . واشتدت الظلمة مدة الزوبعة ومخن الهواء ولكنها لم تدم الَّا دقائق قليلة

سيل جارف

حدث سيلٌ جارف في بعض ولايات اميركا في اواخر شهر مايو الماضي فخرب مدينة توبيكا وعلت بهِ مياه نهر مسوري ثلاثين قدماً

الجذام واكل السمك

عاد الدكتور هتشنصن من سياحتهِ في بلاد الهند مقتنعاً بصحة مذهبهِ وهو وجود علاقة سببيَّة بين الجذام واكل السمك لانهُ وجد بالاستقراء ان الذين يأكلون السمك المنتن يكثر بينهم هذا الداء اما الذين يأكلون السمك الجديد او المقدَّد المملح جيداً فلا ضرر عليهم منهُ وقد اشار بالغاء ضريبة الملح من بلاد الهند لكي يسهل على الهنود تمليح كل السمك حال صيدهِ

النور الكهربائي والنظافة

الظاهر ان النور الكهربائي خير الانوار كلها من حيث حفظ نظافة البيوت فلا ذبالة فيهِ ولا دخان لهُ ولا رائحة خبيثة تفوح منهُ ولا يفسد الهواء بهِ لكن قد ثبت الآن ان الغبار يتجمع على مصابيحهِ واسلاكهِ وعلى مقربة منها ايضاً اكثر مما يتجمع على سائر جدران البيت كأَن دقائق الغبار تنجذب اليهِ انجذاباً بالفعل الكهربائي فإما ان تلصق بهِ او تندفع عنهُ ثم تلصق بما يجاورهُ على ما هو معلوم من فعل الاجسام المكهربة بالاجسام الخفيفة القريبة منها. والهمة مبذولة الآن في جعل المصابيح واسلاكها مما لا يتجمع الغبار اليهِ

عدوى التيفويد

أُتي الى بلاد الانكليز باحرمة مما كان مع الجيش في جنوبي افريقية والظاهر انها كانت ملوَّثة ببرزات اناسٍ مصابين بالتيفويد فنقلت العدوى الى الذين تغطوا بها واصيب كثيرون منهم

التلفون بين لندن وبروكسل

تمَّ مدُّ خط التلفون بين لندن وبروكسل عاصمة البلجيك وقد احتفل بفتحهِ في اوائل الشهر الماضي والقسم الذي مدَّ منهُ تحت الماء بين خليج سان مرغريت في دوفر ولابان في البلجيك طولهُ ٤٧ ميلاً وهو اطول خط من خطوط التلفون الممدودة تحت الماء . فان طول القسم الممدود تحت الماء من الخط الذي بين لندن وباريس يبلغ ٢٣ ميلاً فقط . اما الخط الذي بين لندن وبركسل فطولهُ كلهِ ٢١٠ اميال منها ٨٣ ميلاً في بر انكلترا و٨٠ ميلاً في بر البلجيك والباقي وهو ٤٧ ميلاً تحت الماء

المكروبات والالوان

اكتشف الدكتور جاكوبتز الالماني ان

الالوان الفاتحة لا تلائم انتشار المكروبات ونموَّها . فاذا شيدت جدران المنازل والمستشفيات والمدارس وغيرها من الابنية العمومية بالالوان الفاتحة امتنع ظهور المكروبات فيها ودخولها اليها

الفوتغراف الكهربائي

قال المستر هنيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي انهُ رأى في مرصد فلكيّ قرب رومية صوراً اصوّرت فيها الاشخاص والمناظر بالكهربائية وهي على بعد عشرين ميلاً على الاقل ومن رأيهِ انهُ لا يبعد اننا نستطيع في المستقبل ان نصوّر من نشاء تصويرهُ من اهلنا واصحابنا وهم على بعد شاسع منا ونحن نخاطبهم بالتلغراف الذي بلا سلك

تثمين العاديات

فتح المسيو ادمون دريكلو المشهور بمعرفة الآثار القديمة مكاناً في بيروت لتثمين العاديَّات (الانتيكا) حتى لا يُغَشّ الذين يجدونها والذين يشترونها . وهو من اعرف الناس بالآثار الفينيقية واليونانية والرومانية لكثرة ما اشتغل بها منذ ثلاثين سنة الى الآن

حكٌّ طبيعيٌّ

في القسم الشمالي من استراليا الجنوبية نوع من النمل يسمى النمل المغنطيسي لانهُ يبني قراهُ بحيث يكون محورها الاطول متجهاً من الشمال الى الجنوب مثل الابرة المغنطيسية في الحك

رصاصة في الدماغ

اصيب ايطالي برصاصة خرقت دماغهُ ولم تضرَّ بهِ كثيراً سوى انها اضعفت بصرهُ ولما اصيب بها توجه الي مخفر البوليس بنفسهِ وشكا امرهُ الى رجالهِ وهو متمتع الآن بالصحة الكاملة

المدرسة الكلية السورية

وتنصيب رئيسها الجديد

احتفلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت بتنصيب رئيسها الجديد الدكتور هورد بلس ابن استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس رئيسها الاول وذلك في اواسط شهر مايو الماضي . ففي اليوم الاول وهو العاشر من الشهر وعظ الرئيس السابق وتليت خطب موضوعها اسس الايمان . وفي اليوم الثاني التأمت الجمعيات المدرسيَّة وجرت الالعاب الرياضية . وفي الثالث وهو يوم المتخرجين من المدرسة ويوم التنصيب اجتمع المتخرجون في الصباح برئاسة احدهم خليل افندي زيدان وخطب فيهم محمد افندي ابو عز الدين ب . ع قاضي الشوف وجرجس افندي نصار ب . ع مدير مدرسة سوق الغرب ويوسف افندي افتيموس ب . ع مهندس بلدية بيروت والدكتور حبيب مالك طبيب بلدية الكورة وقرأ الدكتور اسكندر بك بارودي محرر مجلة الطبيب

قصيدة ارسلها الدكتور اسعد رحّال طبيب بلدية مرجعيون وخطب نجيب افندي مصور ب . ع وتلا قسطنطين افندي ثابت ب . ع قصيدة انكليزية وانيس افندي الراسي ب . ع قصيدتين عربيتين وخطب فارس افندي الخوري ب . ع والدكتور قيصر غريب وتلا كلٌّ من سليم افندي عبد الأحد ب . ع واسكندر افندي ابي شعر قصيدة في مدح الرئيس

وفي ظهر ذلك النهار جلس على مائدة معدة للاساتذة والمتخرجين من المدرسة نحو مئة وثلاثين نفساً اقاموا عليها ثلاث ساعات يتناوبون اطايب الحديث وهم يتناولون اطايب الطعام وكان الاحتفال حينئذٍ برئاسة الدكتور اسكندر بك بارودي وتكلم فيهِ الدكتور يوحنا ورتبات والدكتور قيصر غريب والدكتور وليم فان ديك والدكتور بركتسك وسعادة قنصل اميركا الجنرال والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني والدكتور يعقوب ملاط والاستاذ اسعد الشدودي ثم تلا الدكتور اسكندر بك بارودي رسالة بعثنا بها الى هذا الاحتفال نيابةً عنا وقد نشرتها مجلة الطبيب فنقلناها عنها في آخر هذه النبذة لان فيها خلاصة تاريخ المدرسة في سنيها الاولى . ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر انتظم موكب المدرسة وسار الهوينا بالملابس الرسمية من غرفة العمدة الى النادي الكبير وكان غاصًّا بجمهور المدعوين من اهالي بيروت ونزلائها وافتتح الحفلة الدكتور جورج فورد ثم قام الدكتور دانيال بلس الرئيس السابق وخاطب ولدهُ الدكتور هورد بلس الرئيس الجديد وبيدهِ مفتاح المدرسة واوصاهُ بالامانة والاجتهاد والاحتفاظ بما سُلِّم من الوزنات وسلَّمهُ مفتاح المدرسة فاستلمهُ واجابهُ بابلغ عبارة انهُ يبذل جهدهُ ليؤَدي الامانة حقها . ثم خطب القس هاردن بالنيابة عن المرسلين الاميركيين في سورية والدكتور بورتر بالنيابة عن عمدة المدرسة الكلية واسعد افندي خيرالله ب . ع بالنيابة عن متخرجي المدرسة وشكري افندي معلوف بالنيابة عن الطلبة وقام بعدهم حضرة الرئيس الجديد فخطب خطبة بليغة وبها انتهت تلك الجلسة . واحتشد القوم في المساء في النادي الكبير وافتتح الجلسة الدكتور اسكندر بك بارودي رئيسها بكلام تمهيدي عن التهذيب والعلم والتربية واختتمهُ بقصيدة تلائم المقام ثم خطب داود افندي نحول الصيدلاني في التربية واحمد افندي عباس الازهري وبولس افندي الخولي ب . ع والحاج محمد افندي الجمَّال واختتم الدكتور اسكندر بك البارودي الحفلة بالشكر والدعاء لصروح العلم بالعمران . ونهار الاربعاء وهو الثالث عشر من الشهر اقيمت اجتماعات ادبية ودينيَّة وتلا الدكتور مور خطاباً تشريحيًّا ممثلاً بالفانوس السحري واشعة

رنجن واجتمع الحضور في قاعة بوست رجالاً ونساء وقدمت لهم المرطبات وتبادلوا كؤوس المسرات . اما الرسالة المشار اليها آنفاً فهي

ايها الاساتذة والتلامذة اسيادي واخواني . يسهل عليكم ان تتصوروا كم اتمنى ان اكون بينكم الآن امتع طرفي بمشاهدة اساتذتي الذين نشأت في ظلهم وتناولت منهم مبادئ العلم والتهذيب . واخواني الذين ربيت معهم كالاخوة في بيت واحد مشتركين في اقتباس انوار العلوم . وتلامذتي الذين قضيت السنين ارقب نمو عقولهم وازدياد معارفهم كما يرقب الاب نجاح بنيهِ . وقد حرمت مما تتمتعون بهِ الآن ولكن لا يصعب عليَّ ان اراكم بعين الخيال واتصوركم في دار فسيحة وحولكم قصور فخيمة شيدت للعلوم والفنون وجمعت فيها نفائس الكتب وبدائع الآلات والادوات وغرائب الاحياء والمتحجرات . فهل تتصورون الحالة التي كانت فيها مدرستنا منذ ثمان وثلاثين سنةً حينما وضع اساسها المعنوي في ذلك البيت الصغير شمالي الدار التي شادها الطيب الذكر الخالد الاثر المرحوم المعلم بطرس البستاني وجعلها مقرًّا لمدرستهِ الوطنية هناك اجتمعنا بضعة عشر تلميذاً وكان رئيسنا الدكتور بلس كهلاً في عنفوان قوتهِ . ولم يكن ذلك الاساس كبيراً تنبسط عليهِ الآمال ولا فخيما تتطاول اليهِ الاعناق لكنهُ كان راسخاً على صخرين متينين — حاجة البلاد وهمة المنشئين

كانت حاجة البلاد ماسَّة الى مدرسة كبيرة تعلم العلوم الطبيعية والطبية ولغةً اجنبية من اللغات التي اشتهرت كتبها بتهذيب الاخلاق . والحاجة ام الاختراع فاذا وُجدت وشعر بها ذووها لم يتعذر عليهم ان يجدوا ما يقوم بها . وقد ابنت في سطور وجيزة كتبتها منذ عهد غير بعيد عن رئيسنا الدكتور بلس ان الرغبة في العلوم والمعارف انبعثت في صدور السوريين بعد سنة ستين فانشأوا المدارس الكثيرة لتعليم العلوم الابتدائية على مثال المدارس التي انشأها لهم المرسلون الفرنسويون والاميركيون ولم يبقَ الاَّ ان تنشأ لهم مدرسة كلية تعلم العلوم العالية فلما انشئت وقعت منهم احسن موقع لانها وفت بحاجة كانوا يشعرون بها ويودون ان يجدوا ما يسدها

وكان من نصيب هذه المدرسة ان قيَّض الله لانشائها اناساً كبار الهمم كبار النفوس لم يذخروا وسعاً في ارساخ اركانها واعلاء بنيانها فاعتمدوا في حياتها المالية على الامة الاميركية امة النمو والارتقاء والكرم الحاتمي منشإ المحسنين المتفضلين على نوع الانسان . وفي حياتها العلمية والادبية على انفسهم وعلى من انضمَّ اليهم من الاساتذة

كان الدكتور بلس يعلمنا الجبر والفلسفة العقلية والادبية فوق اهتمامهِ بموارد المدرسة المالية وادارتها الداخليَّة . والمرحوم الدكتور فان ديك الكيمياء والفلك والباثولوجيا .

والدكتور ورتبات التشريح والفسيولوجيا . والدكتور بوست الجراحة والنبات والحيوان . والاستاذ ضدج الاقتصاد السياسي والتاريخ . والمعلم اسعد الشدودي الرياضيات والفلسفة الطبيعية . والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي النحو والبيان . عدا معلمي الانكليزيَّة والفرنسويَّة وكان الاساتذة كلهم يهتمون بتاليف الكتب وجمع المجاميع الطبيعية فوق اهتمامهم بالتعليم والتطبيب فلم يمضِ على المدرسة اربع سنوات حتى شعرت سورية بها ورأَت بلاد الشرق اجمع ان فيها قوة جديدة لتهذيب العقول وتكبير النفوس . ولا انسى يوم حضر متصرف بيروت الاحتفال الاول باعطاء الشهادات العلميَّة وسمعنا نخطب في مواضيع ادبيَّة وطبيعية وفلسفية باحثين عمَّا يرقي بلادنا ويوسع عقولنا فاعرب عن تمام الرضى وشدَّد عزائمنا وعزائم اساتذتنا

وقد مضى على المدرسة الآن اكثر من ثلث قرن والتلامذة الذين تخرجوا فيها يعدون بالمئات ولكن الذين استفادوا منها وانبثت فيهم الحياة العلميَّة يعدون بالالوف وتلامذتها منتشرون الآن في مشارق الارض ومغاربها في اسيا واوربا وافريقية واميركا واستراليا وجزائر البحر . وفي كل مكان وصل اليهِ المتكلمون بالانكليزيَّة من البريطانيين والاميركيين هناك تجد تلامذة المدرسة الكليَّة السوريَّة يزاحمون اكبر الامم همة من قلب افريقية على خط الاستواء الى اصقاع كلنديك في اقاصي الشمال ومن اطراف بلاد اليابان شرقاً الى اطراف اميركا غرباً وفي ايديهم المصباح الذي اسرجوهُ في هذه المدرسة

فاذا حق للعامل ان يفتخر بعملهِ فلرئيسنا الاول وللاساتذة الذين قامت بهم هذه المدرسة من حين انشائها الى الآن الفخر الاكبر والفضل الاعم

وانت ايها الرئيس الجديد المكرَّم لقد سُلّمت وزنات وافيات والاحتفاظ بها وانماؤُها لا يقلاَّن قيمة عن ايجادها من العدم وقد يكونان اصعب منهُ مراساً لكن اخوانك وتلامذتك وكل المحبين لهذه المدرسة واثقون انك ابن بجدتها وانك ستبني كما بنى ابوك لاسيا وان الاساتذة الذين شاركوهُ في انشاء هذه المدرسة وتوطيدها وتوسيعها وابلاغها الدرجة التي وجدتها فيها يعضدونك كما عضدوهُ . فاقبل من ابناء المدرسة المقيمين في الديار المصرية التهانئَ القلبية بالمنصب الرفيع الذي رقيت اليهِ عن اهلية واستحقاق والله نسأَل ان يهنئك بهِ ويهنئَ والديك بك ويمتعك ويمتع اخوانك الاساتذة بمشاهدة خير اثمار من اعمالهم في الدارين

واقبلوا يا اسيادي واخواني تحية مشوق يزفها اليكم من بلاد يرقب اهلوها اعمالكم ونجاحكم لا زلتم اساطين العلم ومصابيح الهدى

القاهرة في ٧ مايو سنة ١٩٠٣

فهرس الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين

٥٣٧ الملك وحقوق الملوك (مصوَّرة)
٥٤٢ ما يلزم من الغذاء
٥٤٨ ميخائيل انجلو (مصوَّرة)
٥٥٢ شكوى اللغة العربية . لمحمد حافظ افندي ابرهيم
٥٥٣ نهج العلم صراط مستقيم . لاحمد افندي رضا
٥٥٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله
٥٦٢ عمران العراق (مصوَّرة)
٥٧٠ غرائب الاحلام
٥٧٧ العاديَّات المقلَّدة
٥٨٠ غرائب "المعاشات"
٥٨٢ دروس الازهر
٥٩٠ متحف الاسكندرية ومكتبتها

* * *

٥٩٥ باب تدبير المنزل * الحرّ واسهال الاطفال · تربية البنات الجسدية · تمريض المرضى · لسع الحشرات · عضة الكلب الكلب
٦٠٢ باب الزراعة * مدارس الزراعة · الطاعون البقري · موسم القطن بزرة القطن · زيت البترول والحشرات
٦٠٩ باب التقريظ والانتقاد * كتاب البؤساء · نو بار باشا · منتخبات الحدَّاد · القول السديد الجامع الازهر · الف ليلة وليلة · تاريخ سيام · اللغة العربية · مطبوعات أُخرى
٦١٥ باب المسائل * السيمناتوغراف · الفانوس السحري · كهربائية شلال اصوان · المترادفات والقواميس · الميكروب والمغطيسية · اليهود والاطفال · سبب الرياح · عدوى السل
٦١٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٥ نبذة
رواية كليوباطرة ملحقة بالمقتطف

قالت الملكة ذلك وصمتت بغتة وامتقع وجهها وكانت قد دنت من بارين ورأَت السوار على ذراعها فتغيَّرت نغمة صوتها وقالت بصوت ابح ان هذه الزوبعة التي نسمع صوتها الآن لها مثيل في نفس الانسان زوابع وعواصف تأْتي بالخراب والدمار فان كان في نفسهِ كثير منها فهو مدفوعٌ بها الى الاضرار بغيرهِ والفلاسفة الرواقيون الذين يوجبون على المرء ان يجري حسب مقتضى طبعهِ يحتمون عليهِ ايضاً ان لا يضرَّ غيرهُ ولا يقلقهُ لكن الاميال الطبيعية واهواء النفس قد تقود الى الضرر المبين فيترتَّب على من يستطيع ان يضع لها حدًّا ان لا يتأخر عن وضع عن هذا الحد وانا استطيع ذلك فلا بدَّ لي من استعمال سلطتي

ثم نظرت الى بارين عابسةً وقالت لها يظهر لي ايتها المرأَة ان من مقتضى طبعكِ اغراء الرجال ولو كانوا لا يزالون فتياناً كما ان من مقتضاهُ حب التزين والتباهي والاَّ فلماذا تلبسين هذا السوار وقت النوم

وكانت بارين قد انتبهت الى ماحدث من التغير في صوت الملكة وشعرت بغيرتها منها لانها كانت تلبس في يدها هدية من انطونيوس وحاولت ان تجد كلاماً تقولهُ في تبرئة نفسها فأُرتج عليها . وقبل ان تتكلم دنت ايراس من الملكة وقالت لها ان هذا السوار اخو السوار الذي اعطاكِ اياهُ الامبراطور ولا بدَّ من ان يكون سوارها هدية منهُ ايضاً وهي تحسب لهبة اعظم رجل في الدنيا اعظم قيمة كما يحسب كل أحدٍ غيرها فمن يلومها اذا لم تنزعهُ من يدها ولا في ساعة النوم

فشعرت بارين كأَن شوكة نخست جنبها لكنها ضبطت نفسها وحاولت ان تجد كلاماً يناسب المقام فلم تجد . وكانت قد جرت على مقتضى طبعها اتباعاً لتعاليم الفلاسفة الرواقيين غير حافلة بما يقولهُ الناس الاَّ انها كانت طاهرة القلب خالية من الاهواء التي اشارت اليها الملكة وقد عاشرت كرام القوم وشاركتهم في محاوراتهم الادبية فوجدت في ذلك كلهِ بهجة وارتياحاً وقد رأَت الآن مقاومة شديدة لاول ميلٍ من اميال نفسها وكانت ادرى الناس بطهارتها وبأَنها احق باكرام الناس لآدابها من المرأَة التي وقفت الآن لمحاكمتها ومن الفتاة التي انت تتهكَّم عليها

ولما شعرت انها مظلومة وان التي ظلمتها هي الملكة القادرة على كل شيء الملكة التي اعمت الغيرة بصيرتها واظلمت باصرتها — لما شعرت بذلك كلهِ حَصِرت وخامر نفسها غيظ شديد من ايراس وازدرائها ايَّاها

واسرعت شارميان اليها ولكن كانت الملكة قد حوَّلت وجهها عنها وقالت لايراس ردوها

الى قصر لوخياس فقد ثبت لدينا ذنبها ولكن لا يليق بي وانا المعتدى عليها ان اقاصها فاترك قصاصها للقضاة الذين يرفع امرها اليهم

فذعرت بارين من ذلك وقالت في نفسها كيف تستحلُّ الملكة ان تثبت ذنبي من غير ان تسمع دفاعي وكيف لا استطيع ان ابرئ نفسي وانا بريئتها فنادتها قائلة اتوسل اليكِ يامولاتي ان لا تتركيني قبل ان تسمعي دفاعي عن نفسي فاني واثقة انكِ تصغين اليَّ وثوقي بعدلك فلا تسلميني الى المراة التي تكرهني لان الرجل —

فاوقفتها الملكة عن الكلام لانهُ لا يليق بالنساء ان يتعيرنَ في حضرتها لكنها ادركت بالغريزة التي تدرك بها المرأة مايخامر قلب المرأة ان بارين مظلومة وان ايراس تكرهها غيرةً منها ولم تكن قد نسيت نصيحة ايراس لها وهي ان تتخلص من بارين باية واسطة كانت وقد رفضت تلك النصيحة لانها لم تشأ ان تحمّل ضميرها ذنبًا آخر في زمن الشدة . وزد على ذلك انها كانت قد سرَّت بمنظر بارين وفُتنت بصوتها ولكن اعطاء انطونيوس لها سوارًا مثل السوار الذي اعطاها اياهُ غاظها جدًّا فكاد غيظها يتغلب على حلمها وقالت سيعاد التحقيق ويؤتى بها الى امام القضاة ولذلك تبقى في لوخياس تحت الحفظ من غير ان ينالها ضرر وانتِ صديقتها ياشارميان فلتبقَ في عهدتك ولكن يجب ان لا تفارق القصر لحظة من الزمان ولا يكلمها احد غيرك

قالت ذلك وسارت الى مقاصيرها وكانت قد احيت الليل كلهُ في اصدار الاوامر المستعجلة لانها صارت بعد واقعة اكتيوم تكره ان تنام لكثرة الهواجس التي تقلقها حينئذٍ ولاسيما لانها كانت اذا انصرفت عن مهام المملكة تعود باللائمة على نفسها لانها بذرت اموال بلادها ولم تحسن سياسة مملكتها ومرَّت الايام وهي مشغولة بتدبير مهام الملك ونصف لياليها يقضى في رصد الافلاك . وفي الليلة الخامسة سمحت لالكساس ان يذهب معها الى المرصد الصغير الذي اقامة ابوها في لوخياس فبيَّن لها الكساس ان النجم الذي يتهدد نجمها هو نجم المرأة التي نسيتها على ما يظهر ثم قال اننا راقبنا كيفية مقابلتك لتلك المرأة وحسبانك نفسها الحقيرة مما يقاس بنفسك الطاهرة الزكية لكن الكواكب التي تعرف مستقبل الناس امرتني مرارًا ان احذرك منها لان كل كلمة من كلماتها وكل نظرة من نظراتها يقْصَد بها ان تؤثر فيكِ تاثيرًا سيئًا وكل ما قالتهُ او يمكن ان تقولهُ تقصد به خداعكِ وحتى الآن لم يجرِ التحقيق الرسمي ولكن متى جرى فمن يدري ماذا تقول عن انطونيوس والسوار الذي اعطاها اياهُ

فقالت لهُ كيلوباطرة أتعرف قصة هذا السوار . فتبسم وقال من اشترى بضاعة مسروقة ليس من مصلحتهِ الاخبار عن السارق

فقالت ولا ان امرتك انا بذلك

فقال ان امرتِني أرى نفسي مضطرًّا الى عصيان امركِ ألاَ ترين انهُ ليس لنا الاَّ نيّران نستمد نورنا وحياتنا منهما الشمس والقمر وبدونهما تصير الحياة ظلاماً فهل يليق بي ان اخون القمر ولا استفيد شيئًا الاَّ تكدير نور الشمس

فقالت هذا يدل على انك تخاف ان تؤلمني اذا اطلعتني على واقعة الحال

فقال نعم الاَّ اذا كانت نفسك اسمى من ان تصل اليها ظلال الغيرة التي تنغص عيش النساء

فقالت اتكلمني بالالغاز لكي يزيد كلامك وقعاً في نفسي وهل تظن انني خالية من الغيرة ممتازة بذلك على بنات جنسي كلاَّ فانت مخطئٌ وانا امرأة ولا أُريد ان اغير طبعي . اخبرني انوبس عن ملكةٍ قديمةٍ ابدلت ضمير المؤنث بضمير المذكر في ما كتب عنها أُفٍ عليها اما انا فاني امرأة وافتخر بذلك وقد كنت امرأة قبل ان صرت ملكة . . . . كنت في صباي اتخفى انا وانطونيوس ونجول في شوارع المدينة ليلاً فيرانا الناس ويقولون ما اجمل هذا الفتى وهذه الفتاة وهم لا يعرفون من نحن فاعود وقد سررت اكثر مما اسر حينما اراهم يجثون امامي وانا على عرشي . اني امرأة والذي اطلبهُ منك الآن اطلبهُ كامرأة لا كملكة

فقال ان كان الامر كذلك فهذا مما يزيدني كتماناً لاني اذا اعترفت للمرأة كليوباطرة بما اعلم اكون قد حنثت بوعدي وافشيت سرّ صديقي

فرفعت الملكة رأسها ونظرت اليهِ بانفةٍ وقالت لقد زدت الامر ابهاماً ويظهر لي انك لا تتكلم ما لم اضطرك الى الكلام

فحنى رأسهُ وقال اترين انهُ لا يمكن الفصل بين المرأة والملكة اما انا فلا اودّ ان اغيظ الاولى ولا اجسر ان اعصي الثانية ولذلك اتوسل اليكِ ان تنسي امر السوار وما يتعلق بهِ مما يؤلمكِ وتلتفتي الى امور اخرى ومن المحتمل ان بارين نفسها تعترف بكل ما جرى وتخبر كيف القت شباكها لابن اعظم الرجال واعظم النساء للملكِ قيصاريون

فابرقت عينا كليوباطرة وقالت رأيت الولد الآن وكأنَّ الشيطان امتلكهُ وكان يقول انهُ يمزق الروابط التي رُبط بها جرحهُ اذا لم نأتهِ بالمرأة التي يحبها واول خاطرٍ خطر ببالي انها سحرتهُ لكن شارميان تقول ان بارين لا تعبأُ بهِ ولا تريد ان تراهُ ولا ينجلي لنا الامر الاَّ بعد البحث المدقق وسنبقي ذلك الى ما بعد رجوع الامبراطور (انطونيوس) اتظن انهُ يسأل عنها متى رجع

ان كنت تريد خيرهُ ويهمك رضايَ فافصح لي واخبرني بكل ما تعلمهُ

فنظر اليها وقال حتمًا انهُ يسأَل عنها ويسعى لرؤيتها فافضل الطرق ان نخبرهُ حالما يصل انها لم تعد موجودة وانا مستعد ان افعل مشيئة مولاتي اذا امرتني بذلك

فقالت أَلاَ تظن انهُ يستاء اذا سأَل عنها ولم يجدها

فقال كلاَّ بل الامر على ضد ذلك ما دامت شمسهُ معهُ فان الشمس يكسف نورها نور النجوم كلها ولا يظهر نجم ما دامت ظاهرة

فقالت كفى ولكن حياة الانسان ليست امرًا طفيفًا يُلعَب بهِ على هذه الصورة لاسيما وان لهذه المرأَة امًّا تحبها فيجب علينا ان نبحث عن اسلوب آخر ننال بهِ غايتنا يجب ان نبحث بالهمة والاخلاص ولكن ما دام مستقبل هذه البلاد ومستقبلي ومستقبل اولادي في كفة الميزان وليس لي ربع ساعة اقضيها في شؤُون نفسي فلا استطيع ان اضيع وقتي في هذه الامور

فقال نعم لا يجوز ان تشغلي عقلكِ السامي بهذه الطفائف فاتركيها للذين تثقين بهم من الخلَّص لعرشكِ

ولما كان يقول ذلك دخل التشريفاتي وقال ان الوزير ماردبون بالباب جاء لشغلٍ هامٍ جدًّا لا يمكن تأْخيرهُ الى الصباح فقامت الملكة ومشت الى غرفة الاستقبال فدخل ماردبون ومعهُ عبدٌ يحمل كيسًا كبيرًا فيهِ البريد الذي جاء من سورية وكان هناك المهردار اتى في تلك الساعة من الليل ليتذاكر مع الملكة في وسيلة تسكن اضطراب اهل المدينة فانهم هاجوا وماجوا لما سمعوا بما حدث في اكتيوم وتجمهروا في اماكن مختلفة في المدينة حتى اضطر الجنود ان يفرقوهم بالقوة وادَّى ذلك الى استعمال السلاح. وقال المهردار ايضًا انهُ لا بد من اصدار اوامر جديدة تتعلق بفتح الترعة وطلب اوامر صريحة في معاملة الشعب فتنفست الملكة الصعداء وجلست منتصبةً وقالت هلمَّ نرى ما يمكن عملهُ الَّا ان الكساس لم يدعها تشرع في عملها بل دنا منها وقال لها بصوت منخفض هل تسمحين يا مولاتي ببقاء تلك المرأَة لتنغص عيشكِ وتقلق راحتكِ لا سيما واني اخاف ان تلك الشرارة الصغيرة تصير نارًا كبيرة

وكانت الملكة قد فتحت رقيمًا من الملك هيردوس ورأَت فيهِ ما لا يرضيها فالتفتت الى الكساس فجأَة وقالت لهُ سننظر في الامر. ثم عادت الى الرقيم الذي في يدها ونظرت فيهِ من اولهِ الى آخرهِ وعادت الى الكساس وقالت لهُ وكَّلتك بمحاكمتها ولكن ليجرِ العدل مجراهُ وسأَنظر انا في امرها بعد رجوع الامبراطور . فقال هل تأْمرينني بذلك فقالت نعم وان اردت امرًا مكتتبًا فسيعطيك اياهُ زينون (المهردار) وسننظر في الامر في وقتٍ آخر

فانصرف الكساس والتفتت الملكة الى الخصي واشارة الى رقيم هيرودس وقالت أرأيت رجلاً الأم من هذا الرجل ظن هؤلاء الجرذان ان السفينة اشرفت على الغرق ولا بدَّ من تركها فاذا استطعنا ان نبقي رؤوسنا فوق الماء عادوا الينا كلهم وهذا لا بدَّ منهُ رحمة بهذه البلاد وحبًّا باستقلالها ويجب ان لا ننسى اولادنا نعم لا بدَّ من ان نبذل كل جهد ونستخدم كل واسطة ونحوّل الليل نهارًا ولا بدَّ من حفر الترعة فتأتينا جنود بناريوس سكربوس الجبار وينصروننا على العدو . والآن لا بدَّ من الاهتمام بما فعلهُ اهل الاسكندرية ولكن يجب ان ناخذهم بالتؤدة لا بالعنف

ثم جعلت تملي الامر تلو الامر ووعدت بان تقابل الشعب بنفسها اذا دعت الضرورة. ولما خرج المهردار من حضرتها التفتت الى نائبها وقالت لهُ لقد احسنا في ما اشعناهُ اولاً من اخبار النصر لانهُ لو فاجأَ الاهالي خبر ما حلَّ بنا لاعتراهم الجنون وزد على ذلك انهُ تيسر لنا في هذه الاثناء ان نقضي اموراً كثيرة اتعلم اني لم أرَ اولادي حتى الآن ولا قابلت مشيريَّ ولاسيما ارخيبيوس فاذا أتى الى هنا فدعهُ يقابلني حالاً لانهُ يعرف رومية واحوالها فأريد ان اقف على رائيهِ . ولما قالت ذلك ارتعدت مفاصلها ووضعت يدها على جبينها وصرخت ايغلب أكتافيانوس وتُغلَب كليوباطرة وتضطر زوجة قيصر ان تسترضي احد قوادهِ كلاَّ . كلاَّ . لم تسدَّ ابواب النجاة في وجهنا حتى الآن ولكن لا بدَّ من خرط القتاد فهلمَّ نُعدَّ كل شيءٍ حتى متى رجْع انطونيوس يجدنا على تمام الاهبة فتعود اليهِ قوتهُ وشجاعتهُ

واقامت تقرأُ وتكتب وتملي الي ان تبلج وجه الصباح وكاد النائب يقع على الارض اعياءً فقال لها لقد طلع الفجر يامولاتي فارحمي نفسكِ واشفقي على كبري فاذنت لهُ في الانصراف ودخلت الغرفة التي تنام فيها وسلمت نفسها لسلطان النوم فنامت نوماً لم تزعجهُ الاحلام الى ان ايقظها صراخ الجماهير المجتمعة حول القصر

الفصل الخامس عشر

لما كانت الملكة نائمة تناوبت شارميان وايراس على القيام بجانب سريرها ولما نهضت كانت ايراس عندها وكان عليها ان تبقى معها الى المساء وحينئذٍ تاتي شارميان وتقوم مقامها . وكانت شارميان قد ادخلت بارين الى غُرَفها واوصت رئيس الحرس ان لا يغفل طرفة عين عنها وعلمت ايراس كيف تغتنم الفرص في غيبة خالتها ونوم الملكة ورأَت ان لا بد لها من ان تدبر الامر مع الكساس اولاً لان نجاة بارين من يدها حوَّلت غيرتها منها الى بغضٍ لها اوغر صدرها واشرك خالتها شارميان معها فارسلت تستحضر الكساس لتدبر الامر معهُ فحضر

ولكن بعد انتظارٍ طويل لانهُ كان نائمًا فقابلتهُ بوجهٍ باسرٍ اولاً لانهُ لم يبادرْ اليها حالاً ثم سكن روعها وكاشفتهُ بما في ضميرها . فاخبرها انهُ اقنع الملكة لتسلّم امر بارين اليهِ فاذا حاكمها الظهر ووجدها مجرمة فلا شيء يمنعهُ من خنقها قبل المساء او جعلها تشرب كاس السم ولكنَّ ذلك لا يخلو من الخطر لان اصدقاءها كثيرون ولبعضهم شان كبير والظاهر ان كليوباطرة تودُّ ان تتخلص منها بايَّة طريقة كانت ولكن الملوك اذا سُئلوا عمَّا فعلوا وخافوا الفضيحة القوا اللوم على غيرهم . ولا يعلم رأْي انطونيوس في هذه المسأَلة ولكن في يدهِ نفع الكساس وضرُّهُ ثم ان قتلَ بارين في عيد ادونس غاظ اهل الاسكندرية لانهم لا يزالون يتذكرون غناءها المطرب في عيدهِ الماضي وهم حاقدون على اخيهِ فيلستراتس فاذا حدث ما يزيد غيظهم فلا يبعد ان يثور ثائرهم ويجاهروا بالعصيان

وكان الكساس قد اختصم مع اخيهِ اولاً لان بارين منعتهُ من دخول بيتها لما كانت زوجةً لاخيهِ ثم لما ارتفع مقام الكساس عند انطونيوس واغدق انطونيوس عليهِ النعم وحباهُ بالاموال الطائلة ودَّ فيلستراتس ان يقاسمهُ نعمتهُ فتودَّد اليهِ ودعاهُ الى بيتهِ . والرجلان على غايةٍ من فسادِ الآداب فلا يعفَّان عن محرَّمٍ في سبيل الكسب . وكان الكساس يحب بارين واما فيلستراتس فلم يعد يعبأُ بها ثم انهُ كان يكره ديون كرهًا شديدًا ويودُّ الانتقام منهُ ولاسيما بعد ان حقَّرهُ ديون في عيون اهل الاسكندرية على ما تقدَّم. واقام يترقَّب الفرص للايقاع بهِ ورأى انهُ لا يستطيع ذلك ما لم يساعدهُ اخوهُ فاذا ساعدهُ فلا يبعد ان يتمكن من اذلال ديون او من صرْم حبل حياتهِ فاتفقا على ان فيلستراتس يقنع الشعب بخطبهِ حتى لا يغتاظوا اذا وقع لديون مكروهٌ وان الكساس يتمم ما بقي. اما قتل بارين فلا فائدة منهُ للكساس لاسيما وانهُ فُتن بجمالها فعزم ان يحاول استرضاءها مرةً اخرى حاسبًا انها اذا وُضعت في سجنٍ ورأَت العذاب امام عينيها تلقي نفسها بين يدهِ . لكن لا بدَّ من ان يتم ذلك كلهُ قبل رجوع انطونيوس. وهبْ انهُ اغتاظ من الكساس واقصاهُ عنهُ فالكساس قد جمع من فضلهِ ثروةً وافرة تكفيهِ ليعيش مستقلاً في احدى مدائن الشام

ولما سمعت ايراس منهُ انهُ سيأْخذ بارين من يد شارميان في اليوم التالي ابرقت اسرَّتها ولم تعارض ان يكون الحكم عليها بالاعدام لكنها فضَّلت ان تُرسَل الى احد المناجم البعيدة لتعمل فيهِ بقية عمرها

ورأى الكساس ان يكتشف ما تكنهُ ايراس لديون عدو اخيهِ الألد فاشار الى وجوب معاقبتهِ لكنهُ رأَى منها تردُّدًا ونفورًا فغيَّر الموضوع حالاً وعاد الى بارين فوافقتهُ على ما طلب واتفقا ان يقبض عليها في الصباح التالي حينما تكون شارميان مشغولة مع الملكة

وكانت ايراس تعرف سجنًا زجَّت فيهِ اناسًا كثيرين ظنت في زوالهم خدمة للملكة ولا يعلم ما جرى لهم فيهِ الاَّ الحرَّاس وان كانت بارين تتجرَّع فيهِ غصص المنون فلا يكون ضنكها اشد من ضنك ايراس في تلك الليالي الاخيرة بعد ان سلبتها حبيبها . ثم لما قام الكساس ليودعها وينصرف قالت لهُ واما ديون فماذا نعمل بهِ

فقال لايمكن ان يطلق سبيلهُ لانهُ يحب بارين وقد كان عازمًا ان يأخذها الى قصرهِ ويقترن بها

فقالت اواثق انت من ذلك قالت هذا وقد اصفرَّ وجهها حتى شفتاها

فقال لقد اعترف هو نفسهُ بذلك في كتابٍ كتبهُ امس الى المهردار وطلب منهُ ان يبذل كل ما في وسعهِ لنجاتها ولكن المهردار لا يكترث لها وهل تريدين ان تري الكتاب

فقالت وقد زاد صوتها بحَّةً اذًا لا يمكن ان يطلق سبيلهُ لانهُ يبذل كل واسطة لانقاذ المرأة التي يحبها ووسائطهُ كثيرة اكثر ممَّا تظن لان هؤُلاء المكدونيين يشدُّ بعضهم بعضًا كالبناء المرصوص وهو عضو في المجلس البلدي وجماعة الفتيان من اعز انصارهِ وكذلك جمهور السكان وقد افسد على اخيك عملهُ بالامس حتى جرُّوهُ وطرحوهُ في بركة الماء

فقال وهذا مما يوجب علينا ان نسدَّ فاهُ باسرع ما يمكن

فصمتت هنيهةً ثم قالت اني اساعدك على سدِ فيهِ ولكن لا على اكثر من ذلك ولا يتعذَّر علينا ان نجعلهُ يصمت من غير ان نوقع بهِ ضررًا

فقال قالت لي الطير ان هذا الرجل كان حبيبًا لكِ

فقالت اذًا الطيرُ بومة لا ترى في النور. وان اخاك وهو ألد اعدائهِ لاقرب مني الى اغتفار ذنبهِ

فقال اذًا عليَّ ان الطف بهِ واعاملهُ بالحلم

فقالت لقد بدا لي حلمك ولكن اتظن الموت اشد عقابٍ يعاقب بهِ الانسان . فقال اهذا هو غرضكِ اذًا فقالت قد يكون ولكن لا بدَّ من ان نلتفت الى امورٍ اخرى فان كل شيءٍ متداعٍ الى الخراب حتى سلطة الملكة التي كنا نحسبها بالامس حصنًا حصينًا نحمي فيهِ كل شيءٍ وقد كنت اعد الآن عدد الذين يقومون لنصرة ديون

فقال اودُّ ان اعلم اولاً ماذا اعدَّت مولاتي للرجل الذي استحق غضبها

فقالت اولاً السجن هنا في لوخياس لانهُ لطخ يديهِ بدم قيصاريون ملك الملوك وذلك خيانة كبرى في عرف كل الامم فاسعَ ليؤْذنْ لك في القبض عليهِ اليوم

فقال سافعل حينما استطيع ان اكلم الملكة بهذه الامور

فقالت انك لا تفعل ذلك لاجلي بل لاجلها لانهُ يجب ان نزيل كل العثرات من

طريقها واولاً يجب ان نزيل بارين التي نغصت عيشها وثانياً ان نامن شر ديون الذي يستطيع ان يثير اهل الاسكندرية لاجل بارين فعلى جلالتها ان تهتم بما يتهدد عرشها اما نحن الصغار فنهتم بلبسها وادوات زينتها

وهنا . دخلت احدى جواري الملكة ونادت ايراس لكي تذهب اليها فقامت حالاً

ولما مرَّت امام غرف شارميان رأَت اثنين من الحرس المكدوني قائمين على حراسة الباب فاسودَّ وجهها وعلمت ان شارميان وضعت هذين الحارسين لكي لا تصل يدها الى بارين وندمت على انها كاشفتها بحبها لديون لكنها كظمت غيظها وقالت ستحلُّ بها النقمة عاجلاً فتنقشع هذه الهموم عن نفسي وصمَّمت نيتها حينئذٍ على قتلِ بارين وجعلت تفكِّر لتجد اسلوباً تقنع بهِ الكساس بقتلها واذا زالت بارين من الطريق لم يتعذر عليها مسالمة شارميان ويبقى ديون حيًّا ولا بدَّ لها من ان تقيهُ من فيلستراتس مهما نالها منهُ

فدخلت غرفة الملكة مطمئنة البال نوعاً وجعلت تقضي لها حاجاتها . وكانت الملكة قد انتعشت بنومها وعاودتها بهجتها فشكرتها على خدمتها لها . ثم ان شارميان كرَّرت التوسل اليها لتعفو عن بارين حتى عيل صبرها وامرتها ان لا تذكر اسمها مرةً اخرى ثم لما انقضى دور شارميان وطلبت من الملكة ان تسمح لها بالذهاب فتأْتي ايراس بدلاً منها ندمت الملكة على ما فرط منها واعتذرت الى شارميان بان الهموم اثقلت قلبها حتى لم تعد تدري ما تقول وقالت لها حينما تريني وجهكِ الصبوح مرةً اخرى ارجو ان تتذكري ان الصديق الصدوق لا يطلع صديقهُ على ما ينغص عيشهُ ويمرر حياتهُ فان اسم بارين يزيدني المًا في وقت الشدة هذا فلا اريد ان اسمعهُ مرةً اخرى وكان كلامها خارجاً من اعماق قلبها فاذهب الغيظ من قلب شارميان. لكنها خرجت من الحضرة وقد زاد همها وانشغال بالها لانها علمت ان الملكة فوَّضت امر بارين الى الكساس . فاسرعت لتستشير ارخبيوس في ما يجب ان تعملهُ لها لتقيها شرَّ ذلك الرجل

ولما ذهبت الى سريرها في المساء كانت معها الجارية السوداء التي اتت معها من بيت ابيها وهي من بلاد النوبة اشتراها ابوها لما رافق كليو باطرة الى جزيرة انس الوجود واسمها انوكس وكانت تحب مولاتها حبًّا يقرب من العبادة وتفتديها بنفسها وهي من امهر الجواري واذكاهنَّ فؤَادًا وقد عتقتها شارميان منذ زمانٍ طويل لكنها بقيت في خدمتها لتعلقها بها وقد اشتهرت في قصر الملكة بذكائها ودهائها حتى ان كليو باطرة نفسها كانت تسرُّ بحديثها وكان في ظهرها حدبة فسماها انطونيوس ايسوبيون (مؤَنث ايسوب الحكيم المشهور) فجرى هذا الاسم عليها ولم تغتظ منهُ لانها كانت قد سمعت حكايات ايسوب وحكمهُ (ستأْتي البقية)